الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جـــامعة وهران ــ السّانية

كلّية الآداب واللّغات والفنون
قـــســـم الـــلّـــغـــة الـــعربيّة

التّجريد في القرآن وقيمته في الكشف والبيان

بحث مقدّم لنيل شهادة الماجستير في القرآن والدّراسات اللّغويّة

إعداد الطّالب:
بـوسـيـف عبـد الـقـادر

الأستاذ المشرف الرّئيسيّ:
الدّكتور عشراتي سليمان

الأستاذ المشرف المساعد:
الدّكتور أحمد حسّاني

السّنة الجامعيّة: 2006-2007 م

(هَـذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ)

[آل عمران: 138]

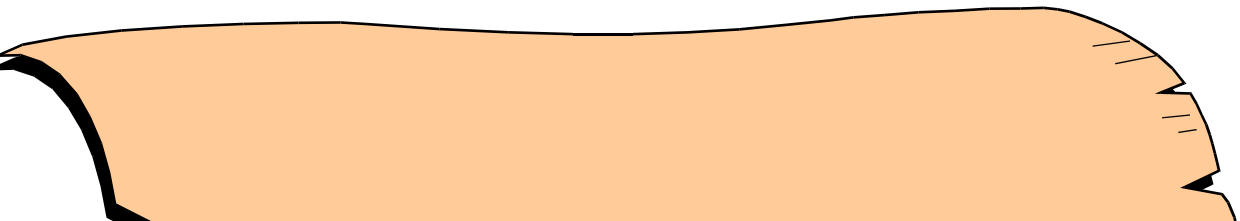

إهـــداء

إلى أبي وأمّي
ربّياني صغيرا وشملاني ببرّهما كبيرا.
إلى أفراد أسرتي
تحمّلوا طيلة البحث انشغالي وعزلتـي.
إلى الأستاذين الفاضلين:
مقوّم عثراتي الدّكتور سليمان عشراتي،
وموجّه بياني الدّكتور أحمد حساني.
إلى كلّ من مدّ لي يد العون في بحثي هذا
شكر وعرفان.

مقدّمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان و خصّه بالبيان، وصلّى الله وسلّم على نبيّه محمّد النّاطق أبلغَ قول وأفصحَ لسان، المبعوث رحمة للعالمين بشيرا و نذيرا و هاديا بالقرآن، وعلى آله وصحابته و من تبعهم إلى يوم الدّين بإحسان.

وبعدُ، فلم يكن سروري بأقلّ ممّا كان حرجي عندما قبل المجلس العلميّ لقسم اللّغة العربيّة بجامعة وهران ـ السّانية ـ تَصَوُّري المُقدَّم للبحث من أجل الحصول على شهادة الماجستير ضمن مشروع القرآن والدّراسات اللّغوية، حول موضوع: التّجريد في القرآن وقيمته في الكشف والبيان.

فأمّا سروري فهو الشّعور الذي ينتاب كلّ طالب مثلي، وقد اهتدى إلى موضوع للبحث انسجم مع رغائبه وميوله، وحظي بمباركة مجلس أساتذته، فاطمأنّت نفسه وثَلِجَ صدره لسلامة اختياره.

وأمّا حرجي فلأنّني اخترت البحث في البلاغة القرآنية، وهذا أمر ـ لعمري ـ عظيم، تضيق دونه كلّ أبحر المعرفة الإنسانية ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1] و من أجله كان السّلف يتورّعون عن الخوض في معاني الكتاب العزيز ، فلا يقولون فيه برأي، ولا يُمارون مدى ما في الإمكان، فقد روي أنّ الخليفة أبا بكر الصّدّيق ـ رضي الله عنه ـ سئل عن معنى قوله تعالى: ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [2] فقال: « أيّ سماء تُظِلّني، وأيّ أرض تُقِلّني, وأين أذهب، وكيف أصنع إذا قلت في حرف من كتاب الله بغير ما أراد تبارك وتعالى »[3]. فإذا بَدَرَ مثل ذلك من الرّاسخين في العلم، ــــــــــــــــــــــــــــــ

1 ـ سورة لقمان. الآية:27
2 ـ سورة عبس. الآية: 31
3 ـ القرطبيّ ـ الجامع لأحكام القرآن. 19 / 220

أولي الفضل و السّبق، فما ظنُّك بطالب في آخر عهد، لا زال يتعثّر في أدنى درجات العلم ؟

و إنّني، على حرجي ممّا أقحمت نفسي فيه، لأجد في نفسي تجاه لغة القرآن العظيم من الحبّ و الإكبار ما يحدوني إلى التّشرّف بخدمتها، و ردّ بعض الاعتبار لجهود علمائها، و ذلك من خلال التّعريف بأحد وجوه الحسن البديعي التي زخر بها الأسلوب القرآنيّ، و هو الذي سمّاه علماء العربيّة : **التّجريد**.

في هذا الإطار يندرج اختياري موضوع البحث، على أنّ الفضل الأوّل في هذا الاختيار يرجع إلى الأستاذ المشرف، بما غمرني به من توجيهات عظيمة، وإفادات قيّمة.

ينطلق البحث من ملاحظة ظاهرة بلاغية جرى بها السَّنَنُ العربيّ، وأكّدها نظم القرآن المعجز. تلك هي ظاهرة التّجريد في كلامهم. و يتوخّى من خلال الأشكال التي استنبطها العلماء من كلام العرب و من القرآن العظيم ما فيها من إحالات على المعاني القائمة في النّفس، و من إفصاح عن طبيعة الإنسان العربيّ وأصالة تفكيره.

لقد عرّف العلماء التّجريد بأنّه « اعتقاد العرب أنّ في الشّيء من نفسه معنى آخر كأنّه حقيقته ومحصوله »[2]، فلو قيل مثلا: في العسكر ألفُ رَجُلٍ، وهم أنفُسهم ألفُ

رَجُلٍ، فليس غرض المتكلّم على اعتبار أنّ في الألفِ رَجُلٍ من العَسْكَرِ ألفاً آخرين، بل على اعتبار أنّهم هم أنفسهم. و إذا كان ذلك مألوفا جدّا في الاستعمال الفصيح، فإنّ مثار التّساؤل هو أنّ تصنيف هذه الظّاهرة لم يُقطع بردّه إلى قسم من أقسام علم البلاغة المتعارف عليها.

---

1 - ابن جنّي - الخصائص. 2 /473

كذلك فإنّ حصر البلاغيّين تلك الظّاهرة في ثلاثة أحرف قد يحدّ من رحابة دلالتها، ويضرّ بروح تذوّقها، ففي ذلك و شبهه ما لا يخفى من الحُكْمِ بضيق لُغَةٍ « وَسِعَتْ كتابَ الله لفظاً وغاية »[1]

تتلخّص خطة هذا البحث في مقدّمة ومدخل، تتسلسل عنهما ثلاثة فصول بعدها خاتمة.

الفصل الأوّل: البلاغة بين النّظريّة والتّطبيق؛ وهو فصل تمهيديّ، ضمّنته ثلاثة مباحث؛ جعلت الأوّل منها للتّفريق بين البلاغة كفنّ قوليّ، قوامه الطّبع ومراعاة مقتضى الحال و متطلّبات المعنى المعبّر عنه، وبين علم البلاغة المتمثّل في القواعد والنّظريات التي من شأنها أن تعين على تكوين ما يُتوصّل به إلى المعاني, أو يُهْتَدَى به لإنشاء الكلام الذي يراعي مقتضى الحال و متطلّبات المعنى. وفي المبحث الثّاني حاولت أن أستدلّ على أنّ البلاغة هي الممارسة القولية التي جرى بها السّنن العربيّ، وكان القرآن الكريم مثالها الأسنى، و نموذجها المتفرّد المعجز. أمّا المبحث الثّالث فيَعْرِضُ للإشكال النّاتج من تبويب علم البلاغة، و تقسيم مباحثه بين المعاني والبيان والبديع، حيث تأتي هذه الرُّؤية التّفكيكية في كثير من الأحيان على علاقة اللّفظ بالمعنى عند التّعرّض للظّواهر البلاغية.

الفصل الثّاني: حقيقة التّجريد؛ وجعلته في ثلاثة مباحث: الأوّل منها في مفهوم التّجريد لغة واصطلاحا، و إيراد استعمالاته المختلفة. و المبحث الثّاني فيما يشتبه بالتّجريد من الأساليب العربيّة كالالتفات والتّشبيه والاستعارة. و المبحث الثّالث حول مذاهب العلماء و أقوالهم في التّجريد.

---

1 - من بعض شعر حافظ إبراهيم على لسان اللّغة العربيّة.

الفصل الثّالث: أشكال التّجريد ودلالاته في القرآن الكريم. يتضمّن هذا الفصل مبحثين ؛ يعرض الأوّل منهما أشكال التّجريد في أسلوب القرآن الكريم، وفيه أوردت طائفة من الأمثلة القرآنية التي ذكر العلماء أنّها من التّجريد، وتفي بالتّمثيل لأشكاله المعروفة في

كلام العرب، سواء ما كان منها بأداة أو من غير أداة. أمّا المبحث الثّاني فاجتهدت خلاله أن أقف على دلالات النّموذج التّجريدي في لغة الوحي الشّريف، مسترشدا بآراء علماء العربيّة من مفسّرين وبلاغيّين ونحويين من الذين استوقفهم هذا الأسلوب في لسان العرب و في كلام ربّ العالمين.

و يقوم منهج هذه الدّراسة على الجمع بين التّأريخ والوصف والتّحليل والاستقراء، فقد تتبّعت الظّاهرة البلاغية بالتّأريخ والوصف، وملاحظة الأشكال التي اطّردت عليها في كلام العرب، وجاء النّظم القرآنيّ مؤكّدا رسوخها في الاستعمال الفصيح. و توخّيت بالاستقراء والتّحليل وجوه المعاني والدّلالات النّاشئة عن تلك الأشكال التي اصطلح البلاغيون على تسميتها تجريدًا، مسترشدا في ذلك بآراء العلماء من لغويّين وبيانيّين ومفسّرين.

وقد اتّخذت للبحث عُدّة من أمّهات المصادر العربيّة، ومأثور التّفاسير ، وبخاصّة منها تلك التي عوّل فيها أصحابها لفهم الخطاب القرآنيّ على اللّغة ، مثل تفاسير « البحر المحيط » و «روح المعاني » و « التّحرير والتّنوير » ...وغيرها. وهنا أسجّل للأمانة العلمية أنّني لم أعثر على بعض المصادر القيّمة، فاستعنت للاطّلاع عليها بما توفّره تّكنولوجيا المعلومات المعاصرة من أقراص مضغوطة ومواقع الإنترنت، وقد وثّقت ذلك في موضعه من هوامش البحث وفهارسه.

ولم تتشكّل مكتبة البحث من المصادر التّراثية فقط، بل حَوَتْ إلى جانب ذلك دراسات حديثة، أردتُ بها إثراء المادّة أحيانا، أو التّوفيق بين الآراء المتباينة أحيانا أخرى.

وإذا كانت بعض مواد البحث أدعى إلى اعتماد المراجع الأجنبيّة، كما هو الشّأن بالنّسبة للفصل الثّاني الذي يمتدّ إلى النّظريات الغربية التي عالجت الخطاب، بكلّ أنواعه و مستوياته، فإنّ قلّة المراجع الأجنبيّة بين قائمة المصادر والمراجع المعتمدة، مردُّها إلى أنّ المكتبة العربيّة في الوقت الرّاهن، غنيّة بالتّرجمات والدّراسات التي شرحت تلك النّظريات وقرّبتها، ممّا يوفّر على الباحث عناء الاطّلاع عليها في لغاتها الأصلية.

لم يكن البحث سهلا، فالطّريق فيه ليس ممهّدا، بل كان محفوفا بصعوبات جمّة، منها أنّني تعاملت في بحثي هذا مع مادة قليلة، جفّت فيها ينابيع الدّراسات الحديثة، و حتّى ما جادت به الكتب التّراثية حولها لا يكاد يطفئ ظمأ الباحث، لذلك وجدتُني أتحاشى الجزم بالحكم الشّخصيّ، مفضّلا إيراد أقوال العلماء فيه، إلاّ فيما نبّهتُ عليه أحيانا من إمكان اتّخاذه سبيلا للدّرس المستفيض، إغناء للبلاغة العربيّة بجملة، ولفقه الخطاب القرآنيّ بوجه مخصوص.

وإذا كان الاختلاف الدّائم إلى المكتبات، ودور النّشر المختلفة، من طبيعة البحث ذاته، على ما في ذلك من مكابدة ومشقّة، فقد وجدتُ من المساعدة لدى بعض الإخوان

من الأساتذة والأصدقاء ما يُلزمُني التّحدّث بفضلهم و سابغ مَنّهم ، نظير ما أمدّوني به من المراجع التي أفدت منها الكثير بخصوص موضوعي.

(ط)

كما أغتنم فرصة هذا التّقديم لأعبّر عن خالص شكري وامتناني للأستاذين الفاضلين: الدّكتور سليمان عشراتي و الدّكتور أحمد حساني، اللّذين تقبّلا برحابة صدر الإشراف على هذه الدّراسة، فلم يدّخرا جهداً في توجيهي، ولم يبخلا بفيض علمهما في إجابة كلّ ما استشرتهما فيه.

و لا أدّعي أنّني بلغت بموضوع التّجريد في القرآن الكمال من النّتائج. إنْ هي إلاّ محاولة لوضع لبنة في صرح الدّراسات القرآنية، فإنْ كنت أصبت فذلك توفيق من الله عزّ وجلّ، وإنْ جانبت مَعْقِدَ الصّوابِ فمن نفسي.

و الله من وراء القصد

سيدي بوبكر. سعيدة. يوم الجمعة 28 ربيع الثّاني 1427هـ / الموافق 26 ماي 2006 م.

التّجريد في القرآن
وقيمته في الكشف والبيان

مـــدخـــل

فُطِر العرب منذ جاهليّتهم على مكارم الأخلاق وحميد الصّـــفات كالضّـــيافة، والكـــرم، والمروءة والوفاء، وإباء الضّيم، والنّهضة في الصّريخ... وغيرها من القيم التي اعتبروها مضربا للأمثال وميدانا للتّفاخر، و مقياسا لكمال الشّخصية بِمَا يوجب السّـــيادة والزّعامـــة. وقـــد حفلت أخبارهم وأشعارهم بكثير من المواقف والقصص الشّاهدة لَهم بذلك. قال السموأل [1]:

فنحن كماء الـــمُزْنِ ما في نصابِـــنا كَهَامُ[2] ولا فينا يُعَـــدّ بَخِيـــلُ
و نُنْكِرُ إنْ شئنا على النّاس قَولَهمُ و لا يُنكرون القول حين نقول
و ما أُخْمِدتْ نارٌ لنا دون طـــَارِقٍ و لا ذَمَّنَا في النّازليـــن نَزِيـــلُ

إنّهم ذوو بأس ، حتّى لأنّ الناس يخشونَهم ولا ينكرون عليهم، والسيّادة فيهم مســـتقرّة لا تنقطع، إذْ كلّما خلا سيّد منهم خلفه سيّد، يقول ما تقوله الكرام، ويفعل ما تفعلـــه. وهـــم كرماء، لا تنطفئ نار ضيافتهم ، و لا يزال نزيلهم يمدحهم،ويُسَيِّرُ ذِكْرِهم.

والنّفس العربيّة بطبعها ميّالة إلى مثل تلك الفضائل، تتفانى في طلبها، ولا تتوانى في قبولهـــا، حدّ التّشفّع أو الشّفاعة بموجبها، نحو ما كان من موقف الرّسول صلّى الله عليه وســـلّم مـــن ((سفانة)) ابنة حاتم الطّائي عندما جيء بِها أسيرة، فقالت تخاطبه: ((يا محمّد، هلـــك الوالـــد وغاب الرّافد، فإن رأيت أن تخلّي عنّي، ولا تشمت بي أحياء العرب، فإنّ أبي كان سيّد قومه، يفكّ العاني، ويقتل الجاني، ويحفظ الجار، ويحمي الذّمار، ويفرّج عن المكروب، ويطعم الطّعام، ويحمل الكلّ[3]، ويعين على نوائب الدّهـــر، وما أتاه أحد في حاجة فردّه خائبا، أنا بنت حـــاتم الطّائي. فقال لها النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: يا جارية هذه صفات المؤمنين حقّا، لو كان أبوك مسلما لترحّمنا عليه.خلّوا عنها، فإنّ أباها كان يحبّ مكارم الأخلاق))[4].

---

1 ــ هو السّموأل بن غريض بن عادياء. والنّاس يدرجون غريضا في النّسب وينسبونه إلى عادياء جدّه. يضرب به المثـــل في الوفاء لأنّه أسلم ابنه ولم يخن أمانته. (انظر ديوان الحماسة لأبي تمّام. 1/ 27)

2 ــ من كَهُمَ الرجل وكَهَمَ يَكْهَم كَهامةً، فهو كَهامٌ وكَهِيمٌ، وتكَهَّمَ: بَطُؤَ عن النُّصرة والحرب

3 ــ الكلُّ: اليتيم. والكَلُّ: الرجل الذي لا ولد له، والفعل: كل يكِلّ كَلالةً. والكَلّ أيضاً: الذي هو عيال و ثقل علـــى صاحبه. وهذا كَلِّي، أي: عيالي، ويجمع على كُلُول

4 ــ محمود شكري الآلوسي ــ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب. 1 / 72 ، 73

تلك شهادةُ صِدقٍ من الرّسول الكريم الذي لا ينطق عن الهوى، وهي بلا شكّ لا تخـــصّ حاتما وحده، ولا قبيلته ((طيء)) فقط من سائر القبائل العربيّة، إنّما هي تقرير منه صـــلّى الله عليه وسلّم ، باستقامة الفطرة العربيّة وصفائها، وسداد الخطّ الفكريّ الذي ارتضته الذّهنيـــة الفرديّة والجماعيّة على حدّ سواء، وعملت الطّبيعة علـــى تركيـــزه في النّفـــوس، وطبعـــه في

الضّمائر، فما أن جاء الإسلام حتّى كانت تشريعاته الحكيمة وتعاليمه السّمحة تدعو إلى تلك الفضائل، وتقضي بترسيمها كقواعد اجتماعية أساسية ذات صبغة ملزمة.قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ ﴾ [1]، ففي تفسير القرطبي أنّ ((هذه الآية من ثلاث كلمات، تضمّنت قواعد الشّريعة في المأمورات والمنهيات؛ فقوله ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾ دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرّفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين. وفي قوله: ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغضّ الأبصار، والاستعداد لدار القرار. و دخل في قوله: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ ﴾ الحضّ على التعلّق بالعلم، والإعراض عن أهل الظّلم، والتّنزّه عن منازعة السّفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة، والأفعال الخَيِّرة الرّشيدة))[2].

وقد دأب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم من قَبْلِ البعثة، و إلى أن أتمّ نشر الرّسالة، على التّأسيس لمنهاج قويم، ومثل أعلى جدير بالائتساء، تأخذ فيه مكارم الأخلاق بنصيب وافر؛ فقبل بعثته عُرفت عنه أخلاق فاضلة كالصّدق والأمانة والوفاء والبرّ بالضّعفاء... وغيرها من الصّفات والأخلاق التي استعظمها قومه فيه، وعاملوه على أساسها في كثير من المواقف. وأمّا بعد بعثته فكادت دعوته تسمّي الأخلاق شعارا لَها، فقد قال عليه الصّلاة والسّلام: ((إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق))[3]، وقال في بيان قيمة الأخلاق: ((إنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقاً))[4].

---

1 ــ سورة الأعراف. الآية 199

2 ــ تفسير القرطبيّ. 7 / 344

3 ــ رواه الإمام أحمد.

4 ــ رواه البخاري ومسلم.

فالأخلاق هي مناط التّفضيل، و مقياس الفوز بالثّواب العظيم، والمرجع الأسنى لتلك الأخلاق إنّما هو القرآن الذي حدّد من سبل الهداية ما جعله منهجا أخلاقيا متكاملا، تجسّد مثاله الأعلى في سيرة الرّسول المصطفى صلّى الله عليه وسلّم. وقد امتدح الله تعالى تلك السّيرة المشرّفة فقال عزّ من قائل: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [1].

لقد بلغ من شأن مكارم الأخلاق في القرآن الكريم أن كانت، بلا أدنى شكّ، أحد وجـــوه إعجازه، فقد نقل القرطبيّ في تفسيره أنّ أبا طالب لّما قيل له: إن ابن أخيك زعم أنّ الله أنزل عليه قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنْكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل:90) قال: اتّبعوا ابن أخي، فـــوالله إنّـــه لا يـــأمر إلاّ بِمَحَاسِنِ الأخلاق[2]. ففي موقف أبي طالب هذا، ما يشير إلى أنّ بعض الذي بَهَرَ به القـــرآن العرب إنّما أتى ممّا فيه من خير دعوة إلى مكارم الأخلاق.

هكذا إذاَ، تكرّست الفطرة الصّافية وتلخّصت بمجيء الإسلام الحنيف. لكأنّه كان شـــهادة للأمّيين بصدق نواياهم، وصفاء سرائرهم، بالرّغم ممّا كان يغشى اعتقادهم من الشّرك وعبادة الأوثان.

وفُطر العرب أيضا، على الفصاحة والبلاغة ومقدرة البيان، حتّى غدا هذا الجانب بغية كلّ فرد ، ومقياسا يوجب الاحترام، ويحقّق السّيادة والزّعامة، فالنّابغة مثلا، كان يُعامَـــل بســـوق عكاظ معاملة تليق بمقامه كحائز أعلى الكفاءات. وقد دلّت حكمهم وأمثالهم على إكبـــارهم شأن البلاغة والبيان، ومن ذلك مثلا قولهم: ((أخطب من سحبان))[3]، فمـــن كـــان مثـــل (سحبان) هذا فصاحة وبلاغة، يستطيع أن يأسرهم ويؤثّر فيهم، بل ويسودَهم أيضا. فقـــد كانوا يأنسون للقول الجميل، ويؤخذون بسماعه، ويعجبون لقائلـــه، ومقـــابل ذلـــك فهـــم

---

1 ــ سورة القلم. الآية:4

2 ــ تفسير القرطبيّ .10/ 165

3 ــ رجل من باهلة. كان من خطبائها ومن شعرائها. يضرب به المثل في البيان.

يأنفون من الحديث السّخيفِ، ومن اللّكْنَةِ و العِيِّ، فيقولون في مثله: ((أعيّ مـــن باقـــل))[1] و لتلك الطّبيعة المركّزة فيهم، قضت الحكمة الإلَهية أن يسلك محمّد صلى الله عليـــه وســـلّم لإقناعهم والتّأثير فيهم، سبيل الإقناع البلاغيّ قبل أيّ سبيل آخر، فقـــد أوتي مـــن الحكمـــة وجوامع الكلم ما لم يؤته أحد منهم. قال أبو حامد الغـــزالي[2] (505 هـــ) في كتـــاب آداب المعيشة و أخلاق النّبوّة: ((كان أفصح النّاس منطقاً وأحلاهم كلاماً ويقول: أنا أفصح العرب،

وإن أهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد، وكان نزر الكلام، سَمْحَ المقالة، إذا نطق ليس بِمِهْذارٍ، وكان كلامه كخرزات نُظِمْنَ. قالت عائشة رضي الله تعالى عنها:كان لا يسرد الكلام كسردكم هذا،كان كلامه نزراً وأنتم تنثرون الكلام نثراً . قالوا: وكان أوجز الناس كلاماً، وبذاك جاءه جبريل، وكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد، وكان يتكلم بجوامع الكلام، لا فضول ولا تقصير كأنه يتبع بعضه بعضاً، بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه، وكان جهير الصوت أحسن النّاس نغمة))[3]، فمن كانت بعض صفاته شبها من هذا،

---

1 ــ رجل من ربيعة. بلغ من عيّه أنّه اشترى ظبيا بأحد عشر درهما، ومرّ بقوم فقالوا له: بكم اشتريت الظّبي؟ فمدّ يديه، ودفع لسانه يريد أحد عشر، فشرد الظّبي.

2 ــ محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي,أبو حامد,حجة الإسلام(450 ــ 505 هـ): عالم فقيه، أصولي متكلم ومتصوّف. من شيوخه: إمام الحرمين أبو المعالي الجويني و أبو نصر الإسماعيلي. مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس, بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر, وعاد إلى بلدته. نسبته إلى صناعة الغزل أو إلى غَزَالة (من قرى طوس).أقام على التدريس وتعليم العلم مدة، ولبس الثياب الخشنة،وقلل المطعم والمشرب.من كتبه : إحياء علوم الدين, تهافت الفلاسفة، الاقتصاد في الاعتقاد، معارج القدس في أحوال النفس ، الفرق بين الصالح وغير الصالح ، مقاصد الفلاسفة ، المضنون به على غير أهله, الوقف والابتداء في التّفسير, البسيط في الفقه, المعارف العقلية، المنقذ من الضلال، بداية الهداية، جواهر القرآن، فضائح الباطنية ، بفضائح المعتزلة، التبر المسبوك في نصيحة الملوك, الولدية, منهاج العابدين, إلجام العوام عن علم الكلام ، الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة ، شفاء العليل, المستصفى من علم الأصول, المنخول من علم الأصول الوجيز في فروع الشافعية, ياقوت التأويل في تفسير التنزيل, أسرار الحج، الإملاء عن إشكالات الإحياء ، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ، عقيدة أهل السنة ، ميزان العمل، المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ... وغيرها من الرسائل والكتب

3 ــ أبو حامد الغزالي ــ إحياء علوم الدّين. 2 / 323

هو المؤهّل بلا شكّ لنقد الكلام والحكم عليه نحوا من قول محمّد صلّى الله عليه وسلّم: ((إنّ من البيان لَسحرا))[1]. فسمّى بعض البيان سحراً، لأنّ صاحبه يوضح الشّيء ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه وبليغ عبارته. وفي ذلك من الإشارة إلى أثر الكلام الجميل في النّفوس والعقول ما لا يخفى على متأمّل.

لم تكن البلاغة في حياة العرب أمرا من الأمور التّحسينية ، أو مُجرّد حاجة عارضة يلجأ إليها في ظرف مخصوص، إنّما هي من المتطلّبات الحياتية الأساسية في كلّ الأحوال والظّروف، بل ربّما لم يكن يتسنّى لأحدهم أن يعرف نعيم الحياة وذوقها إلاّ بقدر ما أوتي من قوّة لسان ومقدرة بيان. قال الجاحظ [2]: ((و لأنّ العرب تجعل الحديث والبسط والتّأنيس والتّلقّي بالبشر من حقوق القرى، ومن تَمامِ الإكرام به، وقالوا: من تمام الضّيافة الطّلاقة عند أوّل وهلة، وإطالة الحديث عند المؤاكلة))[3]. فأنّى للعربيّ إذاً أن يستشعر من نفسه إتمام واجبات الضّيافة، أو يدّعي كمال شخصية الرّجل الكريم، إذا هو لم يُغْرِقْ نزيله من أطايب الكلام و أفانينه ما يُروّح به عن النّفس ويُلْهيها، أو يدفع عنها غضبها ويسرّيها، أو يُؤمّنها و يُهَدّئ من رَوْعِها ويُسلّيها ؟ قال طفيل الغنوي[4]:

لِحافي لحاف الضّيف والبيت بيته ولم يلهني عنه غزال مقنّع

أحدّثه إنّ الحديث من القرى وتكلأ عيني عينه حين يهجع

مفاد هذا أنّ المؤاكلة و المحادثة في عُرف العربيّ أمران متلازمان، أوْ قُل: إنّ المحادثة سابقة للمؤاكلة ومقدّمة عليها، لذا فهو لا يرضى بِمُجرَّدِ إطعام الضّيف، ولا يجزئ هذا عنده كي يسمّى كريما، بل يحتّم عليه واجب الضّيافة، فضلا عن ذلك، أن يتلقّى الضّيفان بالبشر،

---

1 ــ رواه البخاري.

2 ــ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني اللّيثي الملقّب بالجاحظ وبالحدقيّ لجحوظ عينيه أي نتوؤهما. ولد بالبصرة سنة 163هـ / 780م وبها توفّي سنة 255 هـ / 869 م. فلِج في آخر عمره، وكان ذميم الخلقة . قيل: مات والكتاب على صدره. له تصانيف كثيرة منها: الحيوان، البيان والتّبيين، سحر البيان، التّاج، البخلاء، المحاسن والأضداد، مجموع رسائل... وغيرها كثير.

3 ــ الجاحظ ــ البيان والتّبيين 1 / 10

4 ــ هو طفيل بن عوف، ينتمي نسبه إلى غنى بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان. شاعر جاهليّ من الفحول المعدودين. يقال إنّه أقدم شعراء قيس. من أوصف العرب للخيل هو والنّابغة الجدي وأبو دؤاد الإيادي.

وانطلاق الأسارير، وصفاء الطّويّة. ولا تطمئن نفسه في مثل تلك المواقف إلا حين يمزج لذّة المأكول بطيب الحديث وبراعة الكلام، بعيدا عن كلّ تكلّف أو لَحْنٍ للقول، فتراه يصدر دوما عن طبعٍ صاف، وذوقٍ رفيع، وحِسّ مرهف بديع، وولعٍ بالأشكال الخطابية المناسبة للمقام، و ببيانٍ أدركه بالدّربة والمران حتّى أوشك أن يكون مقصورا عليه.

البيان سجيّة تتشكّل لدى العربيّ بصورة تلقائية من مُجرّد النّشوء على ملابسات الحياة العربيّة. فالمتكلّم من العرب، كما يقول ابن خلدون [1] ((حين كانت ملكة اللّغة العربيّة موجودة فيهم، يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم ومخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصّبيّ استعمال المفردات في معانيها فيلقّنها أوّلا، ثمّ يسمع التّراكيب بعدها فيلقّنها كذلك، ثمّ لا يزال سماعهم لذلك يتجدّد في كلّ لحظة، ومن كلّ متكلّم، واستعماله يتكرّر إلى أن يصير ذلك ملكة وصبغة راسخة، ويكون كأحدهم))[2]. وقد تعزّزت تلك الملكة لدى العرب، فرسخت أكثر من أيّ وقت مضى، مع مجيء الإسلام بآخر كتاب سماويّ بيّن للنّاس شريعة الله، وصبغهم بصبغته، وهو القرآن العظيم المنزّل على نبيّ منهم، وبلغتهم التي أحرزوا فيها الرّيادة.قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[3] ، وقال تعالى: ﴿ وَكَذٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[4] وقال عزّ وجلّ: ﴿ قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[5].ونظير هذا في القرآن كثير،

---

1 ــ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون أبو زيد وليّ الدين الحضرمين الإشبيلي(732ــ 808 ه / 1332ــ 1406 هـ). من ولد وائل بن حجر. فيلسوف ومؤرخ وعالم اجتماع. أصله من إشبيلية, ومولده ومنشؤه بتونس. رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان (الجزائر) والأندلس, , وعاد إلى تونس. ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق. و ولي فيها قضاء المالكية, ولم يتزيّ بزيّ القضاة محتفظاً بزيّ بلاده. توفي فجأة في القاهرة.كان فصيحاً, جميل الصّورة, عاقلاً, صادق اللّهجة, عزوفاً عن الضيم, طامحاً للمراتب العالية. ولما رحل إلى الأندلس اهتزّ له سلطانها, وأركب خاصّته لتلقيه, وأجلسه في مجلسه. اشتهر بكتابه «العبر وديوان المبتدأوالخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن جاورهم من ذوي السّلطان الأكبر» في سبعة مجلدات, أوّلها «المقدمة» وهي تُعد من أصول علم الاجتماع, ترجمت هي وأجزاء منه إلى عدّة لغات. وله «شرح البردة» وكتاب في «الحساب» ورسالة في «المنطق» و «شفاء السائل لتهذيب المسائل ».

2 ــ مقدّمة ابن خلدون ــ ص 554، 555

3 ــ سورة يوسف. الآية: 2

4 ــ سورة طه. الآية:113

5 ــ سورة الزّمر. الآية: 28

يوحي كلّه بمقام التّشريف الذي ألحقت به اللّغة العربيّة في ظلاله، كما يوحي بمستوى بلاغة العرب زمن نزوله، فلا يُتصوّر أنّ العرب قد عناهم أمر التّحدّي الذي رفعه القرآن في وجوههم إلاّ وهم واهمون في كفاءاتهم البلاغية فدرة على الإتيان بمثله، و إنّ ما وصلنا عنهم من شعر ونثر خليق بأن يوجد في نفوسهم مثل ذلك الوهم. وإذا كان توجيه

التّحدّي إلى من لا يملك من مادّة ذلك التّحدّي شيئا أمر لا يُسيغه المنطق، فقد ترجّح أنّ القرآن نزل واللّغة العربيّة على أتمّ ما تكون من الاكتمال والنّضج، خلافا لما اعتقده بعض الدّارسين من أنّه تناول العربيّة ولّما تستقرّ [1].

ومع ذلك المستوى البلاغيّ الذي وصل إليه العرب زمن نزول الوحي، فقد انحسرت نفوسهم في محاولات الإتيان بمثل القرآن لّما دعاهم إلى معارضته، وتقطّعت آمالهم دون هذا الغرض، فرغم أنّ لغة الوحي هي ذاتها لغتهم التي بها تخاطبهم، وبها شعرهم وخطبهم، وفيها لهجات قبائلهم وبطونهم، فإنّهم لمسوا روحا جديدة، لا عهد لآذانهم ولا لأذهانهم بمثلها، فعن عكرمة أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قرأ على الوليد بن المغيرة قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنْكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النّحل:90)، فقال: يا ابن أخي أعد. فأعاد عليه، فقال: والله إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أصله لمورق، وأعلاه لمثمر، وما هو بقول بشر[2].

وذكر في السّيرة النّبويّة أنّ الطّفيل بن عمرو الدّوسي[3] قدم مكة ورسول الله بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلا شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا له: يا طُفيل إنّك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الّذي بين أَظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرّق جماعتنا وشتّت أمرنا، وإنّما قوله كالسّحر، يفرّق بين الرجل وأبيه، وبينه وأخيه وزوجته، وإنّا نخشى عليك وعلى قومك ما دخل علينا، فلا تكلِّمَنَّه ولا تَسْمَعَنَّ منه شيئاً. فقال الطّفيل:فوالله ما زالوا بي حتى

---

1 ــ انظر: الدّكتور أسعد علي ــ تهذيب المقدّمة اللّغوية للعلا يلي. ص 110، 111

2 ــ انظر: تفسير القرطبيّ ــ 165/10

3 ــ هو الطفيل بن عمرو بن طريف الدّوسي الملُقّب بذي النّور. أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نوراً في جبينه ليدعو به قومه، فقال: يا رسول الله، هذه مثلة أو قال: شهرة. فجعله في طرف سوطه، فكان كالمصباح يضيء له الطريق بالليل. ولما رجع إلى قومه دوسٍ ليعلمهم جعلوا يقولون: إن الجبل ليلتهب. وكان أبو هريرة رضي الله عنه ممن اهتدى بذلك النور في بعض الحديث.

أَجْمَعْتُ ألاّ أسْمَعَ منه شيئاً ولا أَكلّمَه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كُرْسُفاً [1] فَرَقاً من أَنْ يَبْلُغني شيء من قوله، وأنا لا أُريد أَنْ أسْمَعَهُ. قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله قائم يصلي عند الكعبة. فقمت منه قريباً فأبى الله إلاّ أن يُسْمِعني بعض قوله فسمعت كلاماً حسناً، فقلت في نفسي: وَاثَكْلَ أُمّي، والله إنّي لرجل لبيب،

شاعر، ما يخفى عَلَيّ الحَسَن من القبيح، فما يمنعني أن أَسمع من هذا الرجل. فإن كان الّذي يأتي به حسناً قَبِلته وإنْ كان قبيحاً تَرَكْتُه. فمكثت حتى انصرف رسول الله إلى بيته، فاتّبعته، حتى إذا دخل بيته، دخلت عليه، فقلت:يا محمد، إنّ قومك قد قالوا لي كذا وكذا، فوالله ما برحوا يخوّفونني أمرك حتى سددت أُذُنَيَّ بكُرْسُفٍ، لئلاّ أسْمَعَ قولك، ثّم أبى اللهُ إلاّ أن يسمعني قولك، فسمعته قولاً حسناً، فاعرض عَلَيَّ أمرك. قال: فعرض عَلَيَّ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الإسلام وتلا عَلَيَّ القرآن. فلا والله ما سمعت قولاً قطّ أحسن منه ولا أمراً أعدل منه. قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحقّ[2].

هذه الرّوايات وغيرها كثير، مفادها كلّها أنّ بلاغة القرآن بَهَرَتْهُم، فخلبت ألبابَهُم، وشغلت عُقُولَهُم، مُؤْمِنَهُم وكَافِرَهُم، فلم يجدوا لهم مندوحة من الإقرار بعجزهم وقصور أحلامهم إزاءها. وبعد أن كانوا يُؤخذون بشعر شاعر أو سجع كاهن منهم، وجدوا أنّ كلّ ما قالوا من شعر أو نثر لغوا يتهاوى أمام نظم القرآن السّاحر وبيانه الآسر، ففي أخبار الشّاعر لبيد[3] أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له: أنشدني من شعرك، فقرأ سورة البقرة، وقال: ((ما كنت لأقول شعراً بعد إذ علمني الله سورة البقرة وآل عمران))[4] .

وأمام دعوة القرآن أهل العربيّة، أرباب الفصاحة و البلاغة، أن يأتوا بشيء من مثله، إذا هم ساورتهم الشّكوك، أو أملى عليهم عنادهم واستكبارهم بأنّه من عند غير الله تعالى.

---

1 ــ الكرسف: القطن

2 ــ ابن هشام ــ السيرة النبوية. 1/ 382. 383

3 ــ هو لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري (? – 41 هـ / ? – 661 م). أحد الشعراء الفرسان الأشراف،و أحد أصحاب المعلقات في الجاهلية. من أهل عالية نجد. أدرك الإسلام، ووفد على النبي (صلى الله عليه وسلم). و يعدّ من الصحابة ومن المؤلفة قلوبهم. وترك الشعر فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً.

4 ــ ابن قتيبة ــ الشّعر والشّعراء. ص282

قال عزّ اسمُهُ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِن كَانُواْ صَادِقِينَ ﴾ [1]

وقال: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُمْ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [2]، وقال: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُمْ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [3]، وقال: ﴿ وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ

عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ من مثْلِهِ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم من دُونِ ٱللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [4]. أمام كلّ ذلك كان أحدهم لا يزال يسمع الآية أو الآيتين،فإذا هو يترك دين الآباء والأجداد. وفي قصّة إسلام عمر، رضي الله عنه، خَيْرُ دليل [5].

ولم يسعهم بإزاء ما تُحُدُّوا إليه ، أن يشدّوا على ما تواصوا به من عدم الاستماع للقرآن، ومن البعد عنه حتّى لا يغلبهم ويعلو عليهم ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْآنِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[6]. فقد ذُكر أنّ ثلاثةٌ من بُلغاء قريش وأَشرافهم، وهم: أبو سفيان ، وأبو جهل، والأخنس ، خرجوا ليلة ليستمعوا كلام النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهو يصلّي من اللّيل في بيته، فأخذ كلّ منهم مَجْلِساً يستمع فيه، وكلّ لا يعلم بِمَكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر، تفرّقوا، فجمعهم الطّريق فتلاقوا، وقال بعضهم لبعض: ((لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً))، ثم انصرفوا حتى إذا كانت اللّيلة الثّانية عاد كلّ رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتّى إذا طلع الفجر تفرّقوا، فجمعهم الطّريق، فقال بعضهم لبعض مثلما قالوا أول مرّة، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت اللّيلة الثّالثة أخذ كلّ رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتّى نتعاهد ألا نعود. فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرّقوا [7]

---

1 ــ سورة الطّور. الآيتان: 33، 34

2 ــ سورة هود. الآية: 13

3 ــ سورة يونس. الآية 38

4 ــ سورة البقرة. الآية: 23

5 ــ انظر في ذلك : فقه السّيرة لمحمّد الغزالي.ص 123

6 ــ سورة فصّلت. الآية : 26

7 ــ ابن هشام ــ السيرة النبوية . 1/ 315.

وقد بيّن القرآن مسبقا نتيجة ذلك التّحدّي، فدمغ بالهَزيمة الإنس والجنّ على حدّ سواء، فقال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلإِنْسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾[1].

ما تجدر الإشارة إليه، هو أنّ هذا الحديث حول عجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن الكريم، ينبغي ألاّ يُفهم بأنهّ اتّخاذ موقف مُسبّق إزاء قضيّة الإعجاز، وجعله محصورا في

البلاغة، مقصورا على العرب دون سواهم، فالمؤكّد هو أنّ البلاغة ليست سوى أحد وجـــوه إعجازه المتجدّدة بتجدّد الأحوال والأمكنة وتتالي الدّهور. ولو كانت هي ـــ أي البلاغـــة ـــ وجه إعجازه الوحيد، للَزِم أن يزولَ هذا الوجه بذهاب العرب الفصحاء وانقضاء زمـــانهم. ومعلوم أن جمهور أهل الإسلام على أنّ التّحدي قائم إلى يوم القيامة، وهذا هو الحقّ الـــذي لا يجوز القول بخلافه. ولو كان العرب هم المقصودون به وحدهم، لما كان الرّسول صلّى الله عليه وسلّم قد بعث بالرّسائل إلى كسرى وقيصر والنّجاشي والمقوقس، وفي كل رسالة كـــلام الله يُتلى عليهم، يدعوهم للهدى ودين الحقّ. ثمّ إنّ قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلإِنْسُ وَٱلْجِنُّ ﴾ ليس فيه ما يوحي أنّ العرب هم المقصودون دون أمم الأرض الأخرى.

لقد أفاض العلماء في بحث مسائل الإعجاز، وتفصيل وجوهه، وبيان المخاطبين به، حتّـــى لم يعد في الإمكان سرد كلّ آرائهم، بل نحن أعجز في هذه الدّراسة المقتضبة عن سرد آراء من تَحَدّثوا في وجه واحد من وجوه الإعجاز. وسنقتصر في بيان المخاطبين بالتّحدّي على إيـــراد رأي عالم واحد، وهو الإمام أبو بكر الباقلاني [2] (403 هـ) الذي جعل عجز العرب دليلا على عجز غيرهم، فعُلـــم منـــه أنّ التّحـــدّي لجميـــع الأمـــم لا لبعضـــها. يقـــول البـــاقلاّني:

---

1 ـــ سورة الإسراء. الآية: 88

2 ـــ محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القسم القاضي أبو بكر الباقلاني البصري صاحب التصانيف في علم الكـــلام، سكن بغداد وكان في فنه أوحد زمانه، سمع أبا بكر القطيعي وغيره وكان ثقة عرافاً بالكلام صنف الـــرد عـــل الرافضـــة والمعتزلة والخوارج والجهمية، ذكره القاضي عياض في طبقات الفقهاء المالكية قال: وهو الملقب بسيف السنة ولسان الأمة المتكلم على لسان أهل الحديث وطريق الشيخ أبي الحسن الأشعري كان ورده في الليل عشرين ترويحة ثم يكتـــب خمســـاً وثلاثين ورقة من تصنيفه، توفي في ذي القعدة سنة 403 هـــ ببغداد، ودفن بداره ثم حول إلى مقبره باب حرب. (انظر: الوافي بالوفيات للصّفدي. 3 / 177)

((لا يتهيّأ لِمَنْ كان لسانه غير العربية، من العجم والتّرك وغيرهم، أن يعرفوا إعجاز القـــرآن إلاّ بأن يعلموا أن العرب قد عجزوا عن ذلك. فإذا عرفوا هذا بأن علموا أنّهم تُحُدّوا إلى أن يأتوا بمثله، وقُرِّعوا على ترك الإتيان بمثله، ولم يأتوا به، تبينوا أنّهم عاجزون عنه. وإذا عجـــز أهل ذلك اللّسان فهم عنه أعجز. وكذلك نقول: ـــ والكلام له ـــ إنّ من كان مـــن أهـــل اللّسان العربيّ إلاّ أنه ليس يبلغ في الفصاحة الحد الذي يتناهى إلى معرفة أســـاليب الكـــلام،

ووجوه تصرّف اللّغة وما يعدونه فصيحاً بليغاً بارعا من غيره، فهو كالأعجميّ في أنه لا يمكنه أن يعرف إعجاز القرآن، إلا بمثل ما بينّا أن يعرف به الفارسيّ الذي بدأنا بذكره، وهو ومن ليس من أهل اللّسان سواء)) [1].

وأمام هذا التّحدّي الصّارخ، لم تبق لذوي الحميّة وأصحاب الفصاحة والبراعة وسيلة للصّمم أو للتّصامم إلاّ لإقرار بالعجز عن الإتيان بمثل نظم القرآن. وبذلك فرضت لغة الوحي نفسها نموذجا أعلى للفصاحة والبلاغة والبيان، ومثلا لإصلاح المنطق وتقويم اللّسان، فترى بلغاءهم يتفانون في احتذاء نظم القرآن والنّسج على منواله، حتّى صار ذلك عندهم مدعاة للمعاكظة والفخار، ومن ذلك مثلا ما رواه الجاحظ في ((البيان والتّبيين)) أنّ أهل مكّة قالوا لمحمّد بن المناذر الشّاعر[2] : ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة، إنّما الفصاحة لنا أهل مكّة. فقال مُنكِرا عليهم، محتجّا بقرب لغته من لغة التّنزيل: أمّا ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن وأكثرها له موافقة، فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم. أنتم تُسَمُّون (القِدرَ) (بُرمة) وتجمعون (البُرمة) على (بِرام) ونحن نقول (قِدرٌ) ونجمعها على (قُدور)، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ﴾ (سبأ: 13) وأنتم تسمّون البيت إذا كان فوق البيت (عُلّيّة) وتجمعون هذا الاسم على (عَلالي) ونحن نسمّيه

---

1 ــ الباقلاّني ــ إعجاز القرآن. ص133

2 ــ محمد بن مناذر مولى بنى صبير بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم أبو جعفر، وقيل أبو عبد الله، وقيل أبو ذريحٍ، وذريح ابن له مات صغيراً، وهو شاعر فصيح متقدم في العلم باللغة إمام فيها،أخذعنه كثير من اللغويين. وكان في أول أمره ناسكاً يتأله ثم ترك ذلك وهجا الناس، وهتك فوعظته المعتزلة فلم يتعظ، فزجروه فهجاهم وقذفهم حتى نفى عن البصرة إلى الحجاز فمات هناك سنة ثمان وتسعين ومائة.

(غُرفة) ونجمعه على (غُرُفات) و (غُرَف)، وقال الله تعالى: ﴿غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ (الزّمر:2) وقال: ﴿ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ (سبأ:37) وأنتم تسمّون (الطّلع) (الكافور) و (الإغريض) ونحن نسمّيه (الطّلع) و قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾ (الشّعراء:148)[1]

لقد حفظت كتب اللّغة وآدابها للعرب من الأشعار ونوادر القصص والأخبار كماّ هـائلا جدّا، لو حاول فيه الباحث مجرّد الإحصاء والتّدوين، لأنفق العمر كلّه ولّما يبلغ مـن غايتـه سوى أهون المراقي، غير أنّه لو تأمّلها في المجموع لاندفع إلى تقرير جملة من الملاحظات حـول طبيعة الفكر اللّغويّ العربيّ، وخصائص الأشكال التّعبيريّة المطّردة في تلك اللّغة التي شَـرُفت، كما أسلفنا، وبلغت أتمّ درجات الكمال في القرآن الكريم. و من تلك الملاحظات:

ـ أنّ مقدرة البيان فطر عليها العربيّ كما فطر على الشّجاعة والكرم والمروءة والوفـاء... وغيرها من مكارم الأخلاق وحميد الصّفات.

ـ أنّ لمناحي البيئة العربيّة المختلفة من طبيعة وعادات وتقاليد... الخ. أثرًا في تركيـز تلـك الفطرة.

ـ أنّ القرآن الكريم تمّم تلك الفطرة وأجلاها على أكمل وجه وأنقاه.

ـ أنّ الفطرة العربيّة بدأت تتناقص بامتزاج العرب مع غيرهم من الأجناس نتيجة الفتوحات.

ـ أنّ العقل العربيّ لم يكن بسيطا ساذجا، حتّى قبل اتّصاله بعلوم الشّعوب الأخرى وفلسفاتها.

ـ أنّ للعربيّ ذوقا رفيعا لا ينفصل عن فكره، وعن الأشكال التّعبيريّة التي يرتضيها للمعـاني القائمة في نفسه.

---

1 ـ الجاحظ ـ البيان والتّبيين. 1 / 17

ـ أنّ الدّراسات اللّغوية التي انطلقت منذ القرن الثّاني للهجرة كرّست مسـتويين متبـاينين في البلاغة العربيّة، وأنّ تشعّب الدّرس اللّغويّ قد باعد بين ذينك المستويين.

ـ أنّ ما خلص إليه علم اللّغة الحديث من نتائج ونظريّات، على كثرتها، لا تتنافى أو تتعـارض مع ما في لسان العرب الذي نزل به القرآن الكريم من مقوّمات البلاغة و لمحات الجمال.

ـــ أنّ الإسقاطات التّعسّفيّة للنّظريّات الغربيّة وفلسفاتها لا تؤمّن تصوّرا صادقا ودقيقا حـــول بلاغة العربيّ وفكره اللّغويّ.

ومن منطلق تلك الملاحظات وغيرها تثور التّساؤلات التّقليديّة الآتية:

ـــ مـــا البلاغة، وما مقوّماتها في لسان العرب ؟

ـــ هل ثمّة تلازم مّا بين أشكال التّعبير وأبنيته وبين المعاني المعبّر عنها ؟

ـــ ما مدى إفصاح تلك الأشكال والأبنية عن طبيعة فكر العربيّ، وعـــن طويّتـــه ونوازعـــه النّفسيّة؟

ـــ هل كان العربيّ القحّ يقصد إلى إدراج كلامه ضمن هذا الجانب أو ذاك ممّا دعاه المتأخّرون (المعاني) و (البيان) و(البديع) ؟

ـــ إلى أيّ حدّ يسهم هذا التّقسيم في تحديد مفهوم البلاغة ؟ وبتعبير آخر هل يكفي للإحاطـــة بالظّواهر البلاغيّة، وحلّ الإشكاليات اللّغويّة أن تردّ الأشكال والنّظوم إلى أحد تلك الأقسام؟

ـــ هل تعتبر ملاحظات القدامى قطعيّة وأحكامهم نهائيّة، لا تقبل أيّـــة مراجعـــة أو تأويـــل، فتنسحب حينئذ على كلّ الأساليب والنّظوم، بما في ذلك القرآن الكريم ؟

لعلّنا لا نجانب الصّواب إذا سارعنا إلى الحكم منذ البدء على الحدود والتّعريفـــات بأنّهـــا لا تزيد العلم بالشّيء إلا إيغالا نحو الغموض والإبْهام، مع ما يستتبع تطبيقها مـــن خطـــورة في حقل الدّراسات اللّغويّة بوجه عامّ، وعلى وجه أخصّ عندما يتعلّق الأمر بلغة القرآن، ذات الدّلالة المطلقة، والعمق الذي لا تبلغ مداه العقول، يستوي في ذلك منها المستويان الإفـــراديّ

والتّركيبيّ، لأنّها تَستمِدّ عناصر بيانِها من الهيمنة الإلهيّة على الوجود أزله وأبده. يقول أحد الدّارسين بهذا الصّدد، وهو يتأمّل كلمة (النّار) من قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[1] : ((إنّ خيالنا مهما شطح لا يمكن أن يبلغ عمق دلالة هذه (النّار) التي تستمدّ وقودها من النّاس ومن الحجارة، وقد حُشر لها كلّ الكافرين في تاريخ البشريّة، وأعطيت عمر الخلود بلا نهاية))[2].

ويُرْدِف معقّبا: ((إنّ الله وحده هو الذي يعلم مدى هذه النّار، وأنواعها، فإنّ نار الجحيم أروع وأهول، بحيث لا يملك المتأمّل في اللّفظة إلا أن يقول: الله أعلم))[3].

وكمثال للتّركيب القرآني ذي الدّلالة اللاّنهائية، التي تقصر عن بلوغها العقول، أورد هذا الباحث قول الله تعالى: ﴿ أَلاَ لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلأَمْرُ ﴾[4]. وبعد أن أحصى العناصر الإفرادية والتّركيبيّة التي قام عليها النّظم في هذه الآية الكريمة، وهي عنده:

ــ الخلق؛ سواء بمفهوم الحدث (الإيجاد) أو بمعنى الموجودات.

ــ الأمر؛ و هو مفهوم يتجاوز قدرة البشر على التّصوّر.

ــ مفهوم القصر المترتّب عن تقديم الخبر وتأخير المبتدأ رغم أنّه معرفة.

ــ الأداة (ألا)، وما توحي به من السّطوة والهيمنة النّابعتين من الكبرياء والعظمة المطلقة.

وخلص في الأخير إلى أنّ تكامل العناصر التّركيبيّة، في هذه الآية و في سائر آي القرآن ، مِمَّا يُحَيِّرُ العقول، ويوقفها عند حدّها، فإذا هي مخبتة[5] خاشعة متصدّعة من خشية الله.

---

1 ــ سورة التّحريم. الآية:6

2 ــ عبد الصّبور شاهين ــ تاريخ القرآن. ص .54

3 ــ المرجع نفسه. ص54

4 ــ سورة الأعراف. الآية:54

5 ــ من أخْبَتَ إلى الله إخباتا فهو مُخْبِتٌ: خاشِعٌ مُتَضرع صالح. وهو المُطْرِق أيضاً.ومنه قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾ (الحجّ: 34)

وقريب من هذا الرّأي ما كان أبو هلال العسكريّ [1] (395 هـ) قد ذهب إليه بخصوص الآية ذاتها إذ قال: ((قوله تعالى: ﴿ أَلاَ لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلأَمْرُ ﴾ كلمتان استوعبتا جميع الأشياء على غاية الاستقصاء))[2]

إنّ الخطاب القرآني نموذج متفرّد بخصوصية ظواهره البلاغيّة وقيمه الجمالية المتأبّاة عن التّفكيك والتّفتيت إلى شذرات وجزئيات، ذلك أنّ ظواهره البلاغية إنّما هي في مجموعها قيم متسامية عن التّخمينات والظّنون، وعن مسائل العقل والمنطق المجرّد، ممّا يجعل كلّ الأدوات المعتادة في قراءة النّصوص التي ينتجها البشر عاجزة عن إضاءة شيء ذي بال من قيمتها في جسم منسجم متكامل هو البيان القرآني. تلك حقيقة لا مِراء فيها، فمن العبث إذا ما تسعى إليه بعض المقاربات حين تتوهّم صلاحية أدواتها للانسحاب على كلّ النّصوص بما في ذلك القرآن العظيم.

ومع أنّ القانون العامّ يقضي أنّ الكلام إنّما يفيد الإبانة عن أغراض المتكلّم الكامنة في نفسه. وتبعا لذلك لا تكون أوضاع اللّفظ اعتباطية من حيث الكمّ والنّوع، والتّقديم والتّأخير، والذّكر والحذف... وغيرها من الأوضاع والحالات إلا بمقدار الدّلالة على المراد، والإفصاح عن المعنى المطلوب، مع هذا فإنّ مناهج الدّرس اللّغويّ التي عرضت للبلاغة العربيّة، قد أوغلت في تقسيم الظّواهر البلاغيّة و وتوزيع الملامح الجمالية بين حدود وهميّة، لم يكن العربيّ المفطور على اللّسن يقيم لها وزنا، أو يحسب لها حسابا، ممّا جعلها محلا للاختلافات والمزايدات أحيانا. ويكفي على ذلك دليلا أنّ ما أشار إليه بعضهم في باب

---

1 ــ الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، أبو هلال اللغوي العسكري أيضاً. كان الغالب عليه الأدب والشعر ويعرف الفقه أيضاً. وممن روى عنه: أبو سعد السّمّان الحافظ بالرِّيّ، وأبو الغنائم بن حماد المقرئ إملاءً. من تصانيفه: التلخيص في اللّغة؛ كتاب صناعتي النظم والنثر؛ جمهرة الأمثال، معاني الأدب، من احتكم من الخلفاء إلى القضاة، التبصرة؛ شرح الحماسة، الدرهم والدينار، المحاسن في تفسير القرآن ، كتاب العمدة، فضل العطاء على العسر، ما تلحن فيه الخاصة، أعلام المغاني في معاني الشعر، الأوائل، الفرق بين المعاني، نوادر الواحد والجمع،وديوان شعر. قال ياقوت: وأما وفاته؛ فلم يبلغني فيها شيءٌ غير أني وجدت في آخر كتاب الأوائل من تصنيفه: وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشرٍ خلت من شعبان سنة خمسٍ وتسعين وثلاثمائة.

2 ــ أبو هلال العسكريّ ــ كتاب الصّناعتين. ص 337.

المعاني مثلا، هو عند البعض ضمن علم البيان، وما هو من البيان عند البعض منهم، يعدّ في البديع أو المعاني عند آخرين، فأبو هلال العسكريّ (395 هـ) في ((كتاب الصّناعتين)) جعل من البديع الاستعارة، والمجاز، والمماثلة، والإرداف، والتّوابع ،والكناية، والتّعريض، وهي من

علم البيان عندهم. كما جعل من البديع الإشارة، وهي ضرب من الإيجاز. وجعل منه التّتميم ،والتّكميل، والتّذييل، والإيغال، والاعتراض، هي من علم المعاني عندهم. و ابن رشيق القيرواني[1] (463هـ) في كتابه ((العُمْدَة)) جعل من البديع المجاز، والاستعارة، والتّمثيل، والتّشبيه، والتّعريض، والكناية، و التّتبيع، وهي من مباحث البيان عندهم. كما جعل من البديع الإشارة، والحذف، والتّتميم، والإيغال، والتّكرار، وهي من مباحث علم المعاني عند متأخّري البلاغيين. وأحيانا تجد المصنّف الواحد في الباب الواحد من تلك الحدود يحوي العديد من المسائل البلاغية، مِمّا يدرج في غيره ضمن أبواب متباينة. وأحيانا تجد الظّاهرة البلاغيّة الواحدة مشارا إليها عند البعض، ومغفولا عنها عند البعض الآخر، وقد يسمّيها بعضهم بغير ما سمّاها غيره، أو يعطيها من التّأويل ما يخرجها عن قصدها، كشأنهم مع التّجريد الذي سنعرض له عبر هذا البحث.

قد يكون تطبيق تلك الحدود مألوفا جدّاً في تتبّع ظاهرة أسلوبية وردت في بيت شاعر، أو عبارة ناثر، غير أنّ الأمر يختلف في التّعامل مع آي القرآن المجيد، الذي ليس شعرا، كما أنّه ليس نثرا، بل هو قرآن، وقد بيّن نفسه خير تبيين فقال: ﴿ قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[2] . و من هنا فإنّ تحسّس الظّواهر البلاغيّة والقيم الجماليّة في لسان العرب الذي نطق به القرآن المجيد، لا يمكن أن يتمّ إلاّ من خلال إجرائيّة خاصّة، تنطلق من مسلّمة

---

1 ــ أبو عليّ الحسن بن رشيق القيرواني (390 ــ 463 هـ / 1000 ــ 1071م) أديب نقّاد وباحث. كان أبوه من موالي الأزدولد في المسيلة بالجزائر ، وتعلّم الصّياغة ثمّ مال إلى الأدب وقول الشّعر. رحل إلى القيروان سنة 406 هـ ومدح ملكها واشتهر فيها. وحدثت فتنة فانتقل إلى جزيرة صقلّية وأقام بمازر إحدى مدنها إلى أن توفّي. من مؤلّفاته: العمدة في صناعة الشّعر ونقده، أنموذج الزّمان في شعراء القيروان، قراضة الذّهب، الشّذوذ في اللّغة، ميزان العمل في تاريخ الدّول، شرح موطّأ مالك، تاريخ القيروان، وله أيضا ديوان شعر .

2 ــ سورة الزّمر. الآية: 28

أنّ ((كلّ مجانسة أسلوبيّة وخطابيّة بين القرآن وبين الأنماط الأدبيّة العربيّة المعروفة، مجانسة لغويّة وسَننيّة، لا مجانسة نَمَطيّة أو شكليّة))[1] . وتأخذ تلك الإجرائيّة في الحسبان طبيعة العربيّ وسجيّته في تحرّي الهيئة اللّفظيّة المفيدة للمعاني القائمة في نفسه، والجارية دوما على

أساليب العرب وأنحاء مخاطباتهم. كما تأخذ تلك الإجرائية في الحسبان أيضا خصوصية الفكـــر العربيّ ذي الطّبيعة الوثّابة؛ فهو حالة إطلاق اللّفظ للدّلالة على معنى ما، لا يلبـــث أن ينتقـــل بذهنه من الدّلالات القريبة المحسوسة إلى مراحل فكرية راقية نوعا ما، تؤول خلالها المعاني شيئا فشيئا صوب الرّمـــزيـــــة والتّجريـــــــــــديـــــــــــة.

---

1 ــ د/ عشراتي سليمان ــ الخطاب القرآني. ص9

الفـصـل الأوّل
البـلاغــة بين النّـظــرية والتّـطبيــق

المبحث الأوّل: البلاغة وعلم البلاغة.
المبحث الثّاني: البلاغة ممارسة قولية لا قواعد تعليميّة.
المبحث الثّالث: إشكالية التّفريق بين ميادين علم البلاغة.

المبحث الأوّل:
البلاغة وعلم البلاغة

حظيت البلاغة العربيّة منذ عهود التّدوين الأولى باهتمام كبير من جموع العلماء والأدبـــاء والفلاسفة والنقّاد، حتّى لم يكد يخلو من الإشارة إليها كتاب واحد ممّا صنّفوا، فقد درجوا على بلورة آرائهم وملاحظاتهم التي استمدّوها من تأمّلاتهم في كلام العرب الذي وصـــلهم عـــبر الرّوايات الشّفاهية، ومن تأمّلاتهم في أسلوب القرآن الذي توّج فصاحة العرب، وبرهن علـــى بلاغتهم التي لا تُبارى. ثمّ عكفوا على تدوين تلك الملاحظات، فكانت إمّا كتبا كاملـــة في هذا الباب، أو لَمحات وإشارات في ثنايا الفصول والأبواب. ولم يكن إصدار الأحكام حـــول البلاغة والبيان مقصورا على فئة خاصّة، بل أسهمت في ذلك طوائف كثيرة، فمنهم اللّغويّون والنّقاد والكتّاب والمفسّرون والمحدّثون والفقهاء والأصوليّون والفلاسفة والمناطقة والمتكلّمون. كان ذلك في الفترة المحدّدة بالقرون الخمسة الأولى من الهجرة تقريبا، حـــين كانـــت الثّقافـــة العربيّة الإسلاميّة ذات طابع شموليّ، يُلِمُّ فيه المثقّف بكثير من المعارف والعلوم، حتّـــى كانـــت كتبهم بحقّ موسوعات كاملة، تشمل ألوان الثّقافة كلّها من أدب ولغة، وبلاغة وتفسير، ونحو وتصريف، وفلسفة وحكمة بما يعطي صورة كاملة لفنّ القول، ودقّة التّعبير.

لا يعني هذا أنّ الفترة المذكورة لم تشهد تآليف بلاغيّة متخصّصة، بل ثمّة مؤلّفات عديدة نحا فيها أصحابها منحى بلاغيا متخصّصا ككتاب ((البيان والتّبيين)) للجاحظ (255هـ) الذي ظلّ معينا لا ينفد لمدّ الأجيال التّالية بكثير من قواعد البلاغة والبيان. قال الدّكتور شوقي ضـــيف: ((ولعلّنا لا نبالغ إذا قلنا إنّ الجاحظ يعدّ ــ بلا منازع ــ مؤسّس البلاغة العربيّة ، فقد أفرد لها لأوّل مرّة كتابه ((البيان والتّبيين)) ونثر فيه كثيرا من ملاحظاته وملاحظـــات معاصـــريه. وتعمّق فيه وراء عصره، فحكى آراء العرب السّابقين، والتمس آراء بعض الأجانب)) [1].

---

1 ــ شوقي ضيف ــ البلاغة تطوّر وتاريخ. ص57 ، 58

و يمكن أن نذكر من تلك الكتب ذات المنحى المتخصّص كتاب ((البديع)) لعبد الله ابـــن المعتزّ [1] (296 هـــ) الذي ((يكفيه فضلا أنّه أوّل من صنّف في البديع، ورسم فنونه وكشـــف عن أجناسها وحدودها بالدّلالات البيّنة والشّواهد النّاطقة، بحيث أصبح إماما لكلّ من صنّفوا في البديع بعده، ونبراســـا يهـــديهم الطّريـــق))[2]. وكتـــاب ((الصّـــناعتين)) لأبي هـــلال

العسكريّ (395 هـ)، و ((سرّ الفصاحة)) لابن سنان الخفـاجيّ[3] (466 هـ)... وغيرهـا من الكتب والمؤلّفات.

وليس معنى ذلك أيضا أنّ العرب لم يصدروا أيّة ملاحظات حول الفصاحة والبلاغة قبل أن يُطلّ عليهم القرن الأوّل للهجرة، فمنذ العصر الجاهلي كانت لهم أحكام بيانية، كتلك الـتي كان النّابغة الذّبياني يعلنها بسوق عكاظ مثلا. وكتلك التي كان بعضهم يأخذ بِها نفسه أحيانا. فقد روى الجاحظ أنّ ((من شعراء العرب من كان يدع القصيدة تَمْكُث عنده حولا كريتا، وزمنا طويلا، يردّد فيها نظره، ويجيل فيها عقله، ويقلّب فيها رأيه، اتّهاما لعقله وتتبّعـا علـى نفسه، فيجعل عقله زِمامًا على رأيه، و رأيه عيارا على شعره، إشفاقا على أدبه، وإحرازا لمـا خوّله الله من نعمته، و كانوا يسمّون تلك القصـائد الحوليـات والمقلّـدات، والمنقّحـات، والمحكّمات، ليصير قائلها فحلا خنذيذا، وشاعرا مفلقا))[4].

1ــ هو عبد الله بن جعفر بن محمد بن هارون بن العباس بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بـن المهـدي بـن المنصور (249 ــ 296 هـ) أديب ذو شعر بديع ونثر فائق؛ أخذ العربية عن المبرد وثعلب وعن مؤدبه أحمد بن سـعيد الدمشقي. بويع على رأس الدّولة بعد تنحية المقتدر، ولقب المرتضي بالله، والمنصف بالله، و الغالب بالله. وأقام يوماً وليلة، ثم إن أصحاب المقتدر اجتمعوا وحاربوا أعوانه وشتتوهم وأعادوا المقتدر إلى دسته، واختفـى ابـن المعتـز في دار ابـن الجصاص الجوهري، فأخذه المقتدر وسلمه إلى مؤنس الخادم، فقتله وسلمه إلى أهله ملفوفاً في كساءٍ، وقيل إنه مات حتف أنفه، وليس بصحيح، بل خنقه مؤنس، ودفن في خرابة إزاء داره. من تصانيفه: الزهـر والريـاض. البـديع. مكاتبـات الاخوان بالشعر، أشعار الملوك. السرقات. الآداب. طبقات الشعراء. الجامع في الغناء... وغيرها.

2 ــ شوقي ضيف ــ البلاغة تطوّر وتاريخ. ص 75

3 ــ هو عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان، أبو محمد الحلبي الخفاجي الشاعر. أخذ الأدب عن أبي العلاء المعـري، وأبي نصر المنازي.كان ميلاده سنة 422 هـ وتوفي بقلعة عزاز مسموماً سنة 466 هـ ، وحمل إلى قلعة حلب.كان يـرى رأي الشّيعة الإمامية تأثّرا بأستاذه أبي العلاء المعرّي . وللخفاجي من التّصانيف: سر الفصاحة،كتاب الصرفة، الحكم بين النظم والنثر ، عبارة المتكلمين في أصول الدين، كتاب في رؤية الهلال، حكم منثورة، كتاب العروض...

4 ــ الجاحظ ــ البيان والتّبيين.2 / 39 ، 40

ومن تلك النّقدات والملاحظات أيضا، ما أورده حازم القرطاجنّي[1] (684 هـ) حيث قـال: ((وأنت لا تجد شاعرا مُجيدا منهم، إلا وقد لزم شاعرا آخر المدّة الطّويلة، وتعلّم منه قـوانين النّظم، واستفاد عنه الدّربة في أنحاء التّصاريف البلاغية))[2]. و قد حَمل بعض الدّارسين[3] هذا القول بأنّه ينفي عن البلاغة العربيّة في أولى مراحلها صفة الطّبع المصقول والذّوق الحسّـاس.

و يبدو أنّ حازما لا يقصد هذا، إنّما الذي أراده هو أنّ البليغ من العرب لم يكن يكتفي بطبعه وفكره، فيجعلهما ميزانا لصحّة كلامه ودليلا على فصاحته وبلاغته، بل كان يستعين في ذلك بالتّدريب، والاستفادة من كفاءات غيره من البلغاء. وقد أوضح حازم هذا بقوله: ((ولاشكّ أنّ الطّباع أحوج إلى التّقويم في تصحيح المعاني والعبارات منها من الألسنة إلى ذلك في تصحيح مجاري أواخر الكلم، إذ لم تكن العرب تستغني بصحّة طباعها، وجودة أفكارها، عن تسديد طباعها وتقويمها باعتبار معاني الكلام، بالقوانين المصحّحة لها، وجعلها ذلك علما تتدارسه في أنديتها، ويستدرك به بعضهم على بعض، ويبصّر بعضهم بعضا في ذلك))[4]. فصفة الطّبع، في نظر حازم، لا تنتفي أو تُنْتَقَصُ بالتّقويم والتّعليم، بل يزيدها ذلك قوّة واتّقادا، ومن اعتقد أنّه لا يحتاج مع طبعه إلى تعليم معلّم أو تبصير مبصّر، أو رأى في ذلك وصمة على نفسه، أسرته الضّلالة وفقد التّمييز بين الغثّ والسّمين، وبين ما يستحبّ من الكلام وما يستكره ((وكان مَثَلُهُ في ذلك مَثَلَ أعمى أَنِسَ قوما يلقطون دُرًّا في موضعٍ تشبه حصباؤه الدُّرّ في المقدار والهيئة والملمس، فوقع بيده بعضُ ما يَلْقِطون من ذلك، فأدرك هيئته ومقداره وملمسه، فجعل يُعَنِّي نفسَه في لَقْطِ الحصباءِ على أنّها دُرّ، ولم يدرك أنّ ميزة الجوهر وشرفه إنّما هو بصفة أخرى غير التي أدرك))[5].

---

1 ــ أبو الحسن حازم بن محمّد بن حسن بن محمّد بن خلف بن حازم القرطاجي النحوي (608 ــ 684 هـ)كان أوحد زمانه في النظم والنثر والنحو واللغة والعروض وعلم البيان. روى عن جماعة يقاربون الألف وروى عنه أبو حيان وابن رشد وغيرهما.صنف منهاج البلغاء وسراج الأدباء، و له أيضا كتاب في القوافي وقصيدة في النحو على روى الميم ذكر منها ابن هشام في المغني أبياتا في المسألة الزنبورية .

2 ــ حازم القرطاجنّي ــ منهاج البلغاء. ص 27

3 ــ عبد القادر حسن ــ أثر النّحاة في البحث البلاغي. ص 12

4 ــ حازم القرطاجنّي ــ منهاج البلغاء. ص .26

5 ــ المصدر نفسه. ص 28

ليس الغرض هنا أن نؤرّخ لنشأة البلاغة العربيّة، فذلك ممّا لا يتّسع له نطاق البحث، ولكنّ الذي نريد أن نشير إليه في هذه العجالة، هو أنّ ما أصبح قائما بذاته باسم ((علم البلاغة)) إنّما هو أوّلا نتاج من تلك الملاحظات و النّقَدَات الفطريّة التي كانت لدى العربيّ أقرب إلى الغريزة المركوزة فيه منها إلى السّلوك الواعي المقصود. ومع نزول القرآن صار من المسلّم أن

يكون هو المنطلق في كلّ دراسة أو تفكير، أيّا كان مجال تلك الدّراسة أو ذلك التّفكير. ولم يكن ليتيسّر من جميع ذلك شيء من غير أن تولى اللّغة التي نزل بِها القرآن الكريم كبير اعتبار، ومن غير أن تكون سنن العرب في الكلام هي أولى أدوات الدّارس أو المفكّر. وبعبارة أخرى أن تكون البلاغة قي مقدّمة ما يعتدّ به في هذا الشّأن.

لقد مثّلت البلاغة في تلك الدّراسات قوتا يمسك أرماق الجميع، مفسّرهم، وفقيههم ومحدّثهم، و متكلّمهم ومن شئت من أصحاب الفنون والصّناعات. هي عندهم، أي البلاغة، واجب شرعيّ أجمعوا أنّ من أخلّ به فاته العلم بكتاب الله، وبِما فيه من إعجاز. قال أبو هلال العسكريّ: ((اعلم، علّمك الله الخير، ودلّك عليه، وقيّضه لك، وجعلك من أهله، أنّ أحقّ العلوم بالتّعلّم، وأولاها بالتّحفّظ بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة الذي يعرف به إعجاز كتاب الله تعالى))[1]. وقال أيضا: ((وقد علمنا أنّ الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخلّ بمعرفة الفصاحة، لم يقع علمه بإعجاز القرآن)) [2].

وفي ((رسالة)) الإمام محمّد بن إدريس الشّافعي[3] (204 هـ) تقرير بتلك الأهمّية التي لاحظها العلماء للمعرفة بأنحاء التّخاطب، وسنن القول في لسان العرب، قال: ((مِنْ جُمَاعِ عِلْمِ كِتَابِ الله العِلْمُ بِأَنّ جَمِيعَ كِتَابِ الله إِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِ العَرَبِ))[4]. ثمّ قال بعد ذلك: ((وَإِنَّمَا بَدَأْتُ بِمَا وَصَفْتُ مِنْ أَنّ القُرْآنَ نَزَلَ بِلِسَانِ العَرَبِ دُونَ غَيْرِهِ، لِأَنّهُ لا يَعلمُ .

1 و 2 ــ أبو هلال العسكريّ ــ مقدّمة كتاب الصّناعتين.

3 ــ هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الهاشمي القرشي المطلبي, أبو عبد الله. أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. ولد في غزة بفلسطين وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين. وزار بغداد مرتين. وقصد مصر سنة 199 فتوفي بها، وقبره معروف في القاهرة. كان من أحذق قريش بالرمي, يصيب من العشرة عشرة, كما برع في الشعر واللغة وأيام العرب, ثم أقبل على الفقه والحديث, وأفتى وهو ابن عشرين سنة. وكان ذكياً مفرطاً. تصنايفه كثيرة, أشهرها: " الأم " في الفقه, و " المسند " في الحديث, و" أحكام القرآن " و" السنن " و" الرسالة " في أصول الفقه.

4 ــ محمّد بن إدريس الشّافعيّ ــ الرّسالة. ص 26

مِنْ إيضاحِ جُمَلِ عِلْمِ الكتاب أَحَدٌ جَهِلَ سَعَةَ لِسَانِ العَرَبِ، وكَثْرَةَ وُجُوهِهِ وَجُمَاعَ مَعَانِيهِ وَتفرُّقَهَا، وَمَنْ عَلِمَهُ انْتَفَتْ عَنْهُ الشُّبَهُ التي دَخَلَتْ عَلَى منْ جَهِلَ لِسَانَهَا))[1]

وقال ابن فارس (390 هـ)[2] في باب القول في حاجة أهل الفقه والفتيا إلى معرفة اللّغة العربيّة ((إنّ العلم بلغة العرب واجب على كلّ متعلّق من العلم بالقرآن والسنّة والفتيا

بسبب، حتّى لا غناء لأحد منهم عنه، وذلك أنّ القرآن نازل بلغة العرب، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم عربيّ)) [3]

وقال في باب مراتب الكلام: ((أمّا واضح الكلام، فالذي يفهمه كلّ سامع عرف ظاهر كلام العرب، كقول القائل: شربت ماء ولقيت زيدا. وكما جاء في كتاب الله جلّ ثناؤه من قوله: ﴿ حرّمت عليكم الميتة والدّم ولحم الخنزير ﴾ (المائدة: 3) وكقول النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم: ((إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتّى يغسلها ثلاثا)) [4]

وكقول الشّاعر [5]:

إن يحسدوني فإنّي غير لائمهم قبلي من النّاس أهل الفضل قد حُسِدُوا

و أمّا المُشكَل، فالذي يأتيه الإشكال من غرابة لفظه، أو أن تكون فيه إشارة إلى خبر لم يذكره قائله على جهته، أو أن يكون الكلام في شيء غير محدود، أو يكون وجيزا في نفسه غير مبسوط، أو تكون ألفاظه مشتركة...)) [6]

---

1 ــ المصدر السّابق. ص 26

2 ــ هو أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب أبو الحسين اللّغوي القزويني سكن الري فنسب إليها. سمع بقزوين ثمّ ببغداد عن علماء كثيرين منهم أبوه وعلي بن إبراهيم بن سلمة القطان وعلي بن محمد بن مهرويه وأحمد بن علاّن وغيرهم ، وروى عنه حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني والقاضي أبو عبد الله الحسين بن علي الصميري وقرأ عليه البديع الهمذاني، وكان شافعياً فقيهاً فانتقل في آخر عمره إلى مذهب مالك، وكان يرى نحو الكوفة. وكان كريماً جواداً لا يبقي شيئاً. توفّي سنة تسع وستين وثلاثمائة. من تصانيفه: الفصيح، مقاييس اللّغة ، الصّاحبي... و غيرها.

3 ــ ابن فارس ــ الصّاحبيّ. ص 51

4 ــ رواه مسلم. 3 / 146

5 ــ هو بَشّارِ بنِ بُرد العُقيلي، أبو معاذ. 95 – 167 هـ / 713 – 783 م.

6 ــ ابن فارس ــ الصّاحبيّ في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها. ص 68، 69

لقد أدّى النّظر في أسلوب القرآن، واتّخاذه النّموذج البلاغيّ الأمثل إلى النّظر في أساليب الكتّاب والشّعراء، والموازنة بينها من منطلقات نظمه الممتنع، وتصويره البديع، وفصاحة لفظه، ومتانة تراكيبه، وانسجام حروفه، وعذوبة مخارجه...وغيرها من وجوه جَماله التي لا تُحدّ. ((و لقد كان قوام تلك المنطلقات، التّسليم القائم على البحث والاستقصاء، بأنّ أدبيّة القرآن

البلاغيّة تأسيس نموذجيّ فريد ومرجعيّة بيانية فذّة، فاقت المعهود من القول الإنسيّ البليغ، وأعجزت القرائح عن مساماتها »[1]، فالجاحظ مثلا، كثيرا ما كان يحتجّ بألفاظ القرآن وآياته، يقيس بِها ويوازن، وأقواله في ذلك كثيرة، وهي منبثّة في كتبه « البيان والتّبيين » و« الحيوان » وغيرهما. قال في « البيان والتّبيين »: « قد يستخفّ النّاس ألفاظا ويستعملونها، وغيرها أحقّ بذلك منها، ألا ترى أنّ الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوعَ إلاّ في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع، والعجز الظّاهر، والنّاس لا يذكرون السّغب، ويذكرون الجوع في حال القدرة والسّلامة. وكذلك ذِكْر المطر، لأنّك لا تجد القرآن يلفظ به إلاّ في موضع الانتقام، والعامّة وأكثر الخاصّة لا يفصلون بين ذِكْر المطر وبين ذِكْر الغيث...»[2].

وفي كتاب « الحيوان » أيضا شيء غير قليل من تلك التّسديدات البيانية التي حكّم فيها بلاغة القرآن، من مثل قوله: « وكره ابن عبّاس قول القائل: النّاس قد انصرفوا.يريد: من الصّلاة.قال: بل قولوا: قد قضوا الصّلاة، وقد فرغوا من الصّلاة، وقد صلّوا، لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾ (التّوبة:127) »[3].

---

1 ــ د/ عشراتي سليمان ــ الخطاب القرآني. ص22

2 ــ الجاحظ ــ البيان والتّبيين. 1 / 18

3 ــ الجاحظ ــ الحيوان. ص 522

وفي « أدب الكاتب » لابن قتيبة الدّينوري [1] (276 هـ) تنبيهات كثيرة استند فيها إلى بلاغة القرآن وفصاحته، كالذي أورده في باب ما يُنقص فيه ويُزاد ويُبدَل بعض حروفه بغيره، فقد نقل عن الأصمعيّ قوله: « ويقولون: النّقدُ عند الحافر. يذهبون إلى أنّ النّقد عند مقام الإنسان، ويجعلون القدم ههنا الحافر. وإنّما هو: النّقد عند الحافرة. أي عند أوّل كلمة. قال:

و قوله عزّ وجلّ ﴿ يَقُولونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾ (النّازعات:10) أي: في أوّل أمرنا، ومن فسّرها الأرض فإلى هذا يذهب، لأنّا منها بدأنا)) [2] .

وقال في باب ما يعدّى بحرف أو بغيره و العامّة لا تعدّيه أو لا يعدّى والعامّة تعدّيه : ((ويقال قد سخرت منه ولا يقال سخرت به، قال الله عزّ وجلّ ﴿ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ ﴾ (هود:38) وقال: ﴿ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ (التّوبة: 79))) [3].

وقال في باب ما جاء فيه لغتان استعمل النّاس أضعفهما :

((يقولون: نصحتك وشكرتك. والأجود: نصحت لك و شكرت لك.قال الله تعالى:﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ (لقمان:14) وقال عزّ اسمه: ﴿ وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾ (الأعراف:62))) [4].

وقال في هذا الباب أيضا: ((ويقولون: ضربة لازم. والأجود لازب. واللاّزب: الثّابت، قال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُم من طِينٍ لاَّزِبٍ ﴾ (الصّافّات:11))) [5].

---

1 ــ عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (213 ــ 267 هـ) نسبته إلى دينور مدينة من كور الجبل ما بين الموصل وأذربيجان، وهي في قبلة همذان وقيل المروزي. حدث عن إسحاق بن راهويه، ومحمد بن زياد الزّيادي، وزياد بن يحيى الحساني، وأبي حاتم السّجستاني وغيرهم. وروى عنه ابنه القاضي أحمد. وعبيد الله السكري، وعبيد الله بن أحمد ابن بكير، وعبد الله بن جعفر بن درستويه. كان ثقةً ديناً فاضلاً ولي قضاء الدّينور وكان رأساً في اللّغة والعربية والأخبار وأيام النّاس. من تصانيفه: مختلف الحديث، إعراب القرآن، جامع النحو، أدب الكاتب، خلق الإنسان ، كتاب القراآت، دلائل النبوة، كتاب مشكل القرآن، تأويل مختلف الحديث، جامع الفقه، غريب الحديث، الحكم والأمثال، ، المسائل والجوابات، إصطلاح ما غلط فيه أبو عبيدة في غريب الحديث، الرد على المشبهة، كتاب النفس، ما قيل في الخيل من الشعر، ملح الأخبار، كتاب الضواري والبزاة، كتاب الفهود، كتاب الكلاب، كتاب الإبل، كتاب الوحش ، كتاب التنبيه، عيون الأخبار، طبقات الشعراء، معاني الشعر، الشعر والشعراء، أدب القاضي، الرد على من قال بخلق القرآن، كتاب الصيام، كتاب الحجامة... وغيرها كثير.

2 ــ ابن قتيبة ــ أدب الكاتب. ص 483

3 ــ المصدر نفسه. ص487

4 ــ المصدر نفسه. ص 493

5 ــ المصدر نفسه. ص 494

وسلك الإمام الباقلاني (372 هـ) في ((إعجاز القرآن)) النّهج ذاته، فقد وقف وقفة النّاقد البصير ليوازن بين نظم القرآن ونظم ما وقع الإجماع باستحسانه من نثر وشعر، وذلك في باب طويل جيّد ينتهي إلى بيان الفرق بين كلام الآدميّين وكلام ربّ العالمين [1].

لقد كان القرآن أكبر وأهمّ مصدر عربيّ تنوّعت فيه طرائق التّعابير البلاغية، وآية ذلك أنّ كلّ من تصدّى للبحث والتّأليف في البلاغة قديما أو حديثا، كان يعثر فيه بما لا يحصى من الأمثلة والشّواهد لكلّ أصل بلاغيّ يكتشفه أو يهتدي إليه. ولو رحنا نتتبّع المؤلّفات القرآنية ومدوّنات التّفسير لوجدنا فيها عددا لا يُحصى من الإشارات أو التّلميحات لكثير من الأمور التي أصبحت فيما بعد أنواعا بلاغيّة ذات أسماء أو اصطلاحات محدّدة. ومن تلك المؤلّفات القرآنية على سبيل المثال كتاب ((معاني القرآن)) للأخفش[2]، وهو كتاب في تفسير معاني القرآن، عني فيه بالتّخريج النّحوي للآيات، وبشرح الألفاظ القرآنية شرحا لغويّا اعتمادا على شواهد الشّعر وأوجه الاستعمال المتعارف عليها في كلام العرب. يقول الأخفش: ((وقوله ﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِّجَارَتُهُمْ ﴾ (البقرة:16) فهذا على قول العرب: خاب سعيك، وإنّما هو الذي خاب. وإنّما يريد: فما ربحوا في تجارتهم. ومثله: ﴿ بل مكر اللّيل والنّهار ﴾ (سبأ:33)))[3]. فهذا ذكر واضح للمجاز، و إن لم يسمّه، ومنه أيضا قوله في موضع آخر من الكتاب: ((وقوله ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (البقرة:28) فإنّما يقول: كنتم ترابا ونطفا فذلك ميّت. وهو سائغ في كلام العرب، تقول للثّوب: قد كان هذا قطنا، وكان هذا الرّطب بُسرا، ومثل ذلك قولك للرّجل: اعمل هذا الثّوب، وإنّما معك غَزْلٌ))[4].

---

1 ــ الباقلاني ــ إعجاز القرآن: 171 ــ 303

2 ــ الأخفش هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي . أحد أئمّة نحاة البصرة، من أصحاب سيبويه، وهو أسنّ منه فيما يروى. ويعتبر الطّريق إلى كتاب سيبويه. تعدّدت الرّوايات في تاريخ وفاته فقيل سنة 207 أو 210 أو 215 أو 221 أو 225 للهجرة.

3 ــ الأخفش ــ معاني القرآن. 1 / 206، 207

4 ــ المصدر نفسه. ص217

ويقول الأخفش في موضع آخر من الكتاب: ((وقال: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ ﴾ (البقرة:171) فإنّما هو ــ والله أعلم ــ مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل النّاعق والمنعوق به. فحذف هذا الكلام، ودلّ ما بقي على معناه))[1]. وهذا ما عرف عند البلاغيين فيما بعد باسم الإيجاز بالحذف.

ويشير الأخفش إلى خروج الاستفهام عن معناه الأصليّ كما في قوله: ((وأمّا قول الملائكة ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ (البقرة:30)، فلم يكن ذلك إنكارا منهم على ربّهم، إنّما سألوا ليعلموا، وأخبروا عن أنفسهم أنّهم يسبّحون ويقدّسون، أو قالوا ذلك لأنّهم كرهوا أن يعصى الله، لأنّ الجنّ قد كانت أُمِرت قبل ذلك فعصت. وقوله ﴿ أتجعل فيها ﴾ جاء على وجه الإقرار. كما قال الشّاعر [2]:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

أي: أنتم كذلك))[3].

و أشار الأخفش إلى الكثير من المسائل التي أصبحت فيما بعد من صميم البحث البلاغيّ، مثل الاستعارة [4] والالتفات[5] والتّقديم والتّأخير[6]...وغيرها.

ولم يكن الأخفش النّحويّ العالم الوحيد الذي ارتاد معاني القرآن، فكان له بذلك بعض الفضل في إرساء أسس البحث البلاغيّ، بل إلى جانب كتابه المذكور عرفت عدّة مؤلّفات نحا فيها أصحابها نفس المنحى، مثل كتاب ((معاني القرآن)) للفرّاء[7] (207 هـ)

---

1 ــ المصدر السّابق. ص 208

2 ــ هو جرير بن عطيّة الخطفيّ، والبيت في مدح الخليفة عبد الملك بن مروان.

3 ــ الأخفش ــ معاني القرآن. 1 / 219

4 ــ المصدر نفسه. ص 188

5 ــ المصدر نفسه. ص 312، 314، 315، 375

6 ــ المصدر نفسه. 2 / 520، 521

7 ــ أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي، المعروف بالفراء، الديلمي الكوفي مولى بني أسد، وقيل مولى بني منقر، كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. أخذ النحو عن أبي الحسن الكسائي، وهو من أشهر أصحابه وأخصهم به. وإنما قيل له فراء لأنه كان يفري الكلام. ولد بالكوفة حوالي سنة 144هـ ، وانتقل إلى بغداد وجعل أكثر مقامه بها، وكان شديد طلب المعاش لا يستريح في بيته. توفي سنة 207 هـ في طريق مكة، وعمره ثلاث وستون سنة. من مؤلّفاته: "الحدود" و "المعاني" و" البهيّ" وكتابان في المشكل.

وكتاب ((مجاز القرآن)) لأبي عبيدة [1] (210 هـ)... وغيرهما من المؤلّفات القرآنية.

و اتّجه بعض أصحاب المؤلّفات القرآنية إلى بحث فكرة إعجاز القرآن الكريم، محاولين كشف أسرارها، وتفصيل وجوهها فأثْمرت جهودهم عطاء قيّما في البحث البلاغيّ. منهم على سبيل التّمثيل الجاحظ (255هـ) الذي كان من أوائل من ألّف في إعجاز القرآن [2] فقد

دفعه إيمانه بأنّ للقرآن أسلوبا فريدا، ونظما معجزا إلى أن يقف في مواضع كثيرة ليبيّن البلاغة التي احتوت عليها آيات الكتاب المبين.

و منهم أبو سليمان الخطّابي[3] (388 هـ) الذي عاب على القائلين في موضوع البلاغة تقليدهم، وعدم تحقيقهم وقصور كلامهم عن الإقناع، وعالج الموضوع على طريقته، فذكر الأقسام الثّلاثة للكلام المحمود؛ فمن الكلام البليغ الرّصين الجزل، ومنه الفصيح القريب السّهل، ومنه الجائز الطّلق الرّسل. ثمّ قرّر أنّ بلاغة القرآن حازت من كلّ قسم حصّة [4] .

و منهم عليّ بن عيسى الرمّاني[5] (386 هـ) الذي عدّ البلاغة إحدى الجهات السّبع التي

---

1 ــ أبو عبيدة معمر بن المثنى، التميمي بالولاء، تيم قريش، البصري النحوي العلامة؛ قال الجاحظ في حقه: لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم منه. وتصانيفه تقارب المئتين، منها: مجاز القرآن، غريب القرآن، معاني القرآن، غريب الحديث، بيان باهلة، الخيل، الإبل، الزرع، مقاتل الفرسان ، الشعر والشعراء...وغيرها كثير.

2 ــ ياقوت الحموي ــ معجم الأدباء. 6/ 76

3 ــ الإمام الخطابي (319 ــ 388 هـ) هوأحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب أبو سليمان من ولد زيد بن الخطاب، رحل إلى العراق والحجاز وجال في خراسان وخرج إلى ما وراء النهر. أخذ الفقه عن أبي بكر القفّال الشاشي وأبي علي بن أبي هريرة ونظرائهما من أصحاب الشافعي. وأخذ الأدب عن إسماعيل الصفّار وأبي عمرو الزاهد وأبي العباس الأصم وأحمد بن سليمان النجار وغيرهم. وروى عنه خلق كثير منهم الحسن بن محمد الكرابيسي و أبو حامد الأسفراييني والثعالبي... وغيرهم. ومن تصانيفه: بيان إعجاز القرآن، معالم السنن، غريب الحديث،تفسير أسماء الرب عز وجل، شرح الأدعية المأثورة، شرح البخاري، العزلة، إصلاح الغلط، أعلام الحديث... وغيرها.

4 ــ انظر: بيان إعجاز القرآن للخطّابي. ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز. ص 26

5 ــ هو علي بن عيسى بن علي بن عبد الله أبو الحسن الرماني الوراق الاخشيذي (297 ــ 384 هـ).كان تلميذ ابن الاخشيذ المتكلم أو كان على مذهبه في الاعتزال. علامة في العربية، في طبقة الفارسي و السيرافي.مزج نحوه بالمنطق حتى قال الفارسي: إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء، وإن كان ما نقوله نحن فليس مع الرماني منه شيء. من مؤلّفاته: تفسير القرآن، الحدود، معاني الحروف، الصفات، شرح الموجز لابن السراج ، شرح مختصر الجرمي، إعجاز القرآن، المسائل المفردة من كتاب سيبويه، التصريف، الايجاز في النحو، الاشتقاق الأكبر، الاشتقاق الأصغر، الألفات في القرآن... وغيرها.

كان بها القرآن معجزا [1] حيث جعل للبلاغة ثلاث طبقات؛ منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط [2]. و البلاغة عنده عشرة أقسام أو أبواب هي: الإيجاز، والتّشبيه، والاستعارة، والتّلاؤم، والفواصل، والتّجانس، والتّصريف، والتّضمين، والمبالغة، وحسن البيان.

وفي كنف إعجاز القرآن وصلت البلاغة العربيّة إلى ذروتها على يد الإمـــام عبـــد القـــاهر الجرجاني[3] (472هـــ) من خلال كتابيه ((دلائل الإعجاز)) و ((أسرار البلاغة)) فمن خـــلال شرحه فكرة النّظم التي عزا إليها إعجاز القرآن، ثمّ من خلال بيانه لـــــ(أســـرار البلاغـــة) استطاع أن يبلغ قمّة التّأليف البلاغي. لقد صاغ من البلاغة علما له قواعده وضـــوابطه، دون أن يتنكّر للذّوق وحسّ الجمال. قال عنه الدّكتور شوقي ضيف: ((وإذا كان قد شُـــغِل في (الدّلائل) ببيان خواص الصّيغ الذّاتية، فقد كان همّه في(الأسرار) أن يكشف عـــن دقـــائق الصّور البيانية متخلّلا لَها بنظرات نفسية وذوقية جمالية رائعة، إذ كان محيطا بنمـــاذج الشّـــعر العربيّ وفرائده، وكان له حسّ مرهف وبصيرة نافذة استطاع بِهما على الرّغم مـــن محاولتـــه وضع القوانين لنظريّتي المعاني والبيان أن يجعل منهما بِنيتين حيّتين، تخلوان خلوّا تامّا من جفاف النّظريّات وقواعد العلوم))[4]. وقد أجمع الدّارسون على أنّه لم يأت بعد عصر الجرجاني أحـــد زاد على ما ذكره في بلاغة الإعجاز أو البلاغة المعجـــزة، وإن كـــان التّـــأليف في الإعجـــاز ووُجوهه مازال مستمرّا، والبلاغة مازالت تتردّد على ألسن الذين تصدّوا للتّـــأليف في هـــذا الموضوع أو تعرّضوا له.

---

1 ــ وجوه الإعجاز عنده هي: ترك المعارضة مع توافر الدّواعي وشدّة الحاجة، والتّحدّي للكافّة، والصّـــرفة، والبلاغـــة، والأخبار الصّادقة عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة، وقياسه بكلّ معجز.

2 ــ النّكت في إعجاز القرآن للرمّاني. ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز. ص75

3 ــ عبد القاهر بن عبد الرحمن، أبو بكر الجرجاني النحوي المشهور؛ أخذ النحو عن أبي الحسين محمد بن علي الفارسي، وكان من كبار أئمة العربية، صنف المغني في شرح الإيضاح في نحو ثلاثين مجلداً، والمقتصد في شرح الإيضاح أيضاً في ثلاث مجلدات، وإعجاز القرآن (لعلّه دلائل الإعجاز) ، أسرار البلاغة، العوامل المائة والمفتاح، شرح الفاتحة في مجلد، و العمدة في التصريف. وكان شافعي المذهب أشعري الأصول. توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة.

4 ــ شوقي ضيف ــ البلاغة تطوّر وتاريخ. ص 218

واتّجه اهتمام كثير من العلماء إلى تفسير القرآن الكريم، فكان لهم من ذلك إســـهام كـــبير في بناء صرح البلاغة وإرساء دعائمها. و من تصفّح مدوّنات التّفسير يدرك فضـــل أولئـــك العلماء في تأصيل علم البلاغة، فقد أجروا القواعد والنّظريّات المجرّدة علـــى أمثلـــة التّعـــبير القرآني، فإذا هي قريبة المأخذ، تشعّ بروح المعاني الإلهية، وتشرق بعناصر الجمال التي يكتنز بِها

ذلك الأسلوب المعجز، وإذا البلاغة على أيديهم، وإن استندت إلى الانطباعيّة التّنويهيّة أحيانا، قد استحالت قراءة متميّزة، تتحرّى في سبيل معاني الآي كلّ العلائق النّظمية التي جرى بِها السّنن العربيّ، و أكّدها القرآن العظيم. ومن أولئك المفسّرين جار الله محمود بن عمر الزّمخشريّ[1] (538 هـ) صاحب تفسير((الكشّاف)) الذي عني فيه بالتّفسير البلاغي للقرآن ((وكان له الفضل في الكشف عن كثير من وجوه البيان))[2]، فقد كانت دراسته تطبيقيّة خالصة، بعد أن كانت كلّ الدّراسات قبله لا تكاد تخرج من حيّز التّنظير إلاّ في النّادر. وقد نوّه بفضل تفسيره في التأسيس لعلم البلاغة كثير من العلماء، ومنهم مثلا العلوي[3] (749هـ)، حيث قال في تسويغه تأليف كتابه ((الطّراز)) :

---

1 ــ أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري(467 ــ 538 هـ) إمام التفسير والحديث والنحو واللغة والبيان. أخذ النحو عن أبي مضر منصور، وصنّف التّصانيف البديعة منها: الكشّاف في تفسير القرآن العزيز، المحاجاة بالمسائل النحوية، المفرد والمركب، الفائق في تفسير الحديث، أساس البلاغة، ربيع الأبرار وفصوص الأحبار، متشابه أسامي الرواة، النصائح الكبار، النصائح الصغار،ضالة الناشد، الرائض في علم الفرائض، المفصل في النحو ، المفرد والمؤلف، رؤوس المسائل ، شرح أبيات كتاب سيبويه، المستقصى في أمثال العرب،صميم العربية، سوائر الأمثال، شافي العي من كلام الشافعي، القسطاس ، معجم الحدود، مقدمة الآداب ، ديوان الرسائل، ديوان الشعر، الرسالة الناصحة ...سافر إلى مكة وجاور ها زماناً، فسمّي "جار الله" ، وصار هذا الاسم علماً عليه.

2 ــ مازن المبارك ــ الموجز في تاريخ البلاغة. ص47

3 ــ هو الإمام المؤيّد بالله يحي بن حمزة بن عليّ بن إبراهيم. ينتهي نسبه إلى الحسين بن عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنهم، ولد بمدينة صنعاء سنة 669 هـ واشتغل بالمعارف العلمية وهو صبيّ فأخذ في جميع أنواعها على أكابر علماء الدّيار اليمنيّة، وتبحّر في جميع العلوم، وفاق أقرانه وصنّف التّصانيف الحافلة منها: نهاية الوصول إلى علم الأصول، التّمهيد لعلوم العدل والتّوحيد، التّحقيق في الإكفار والتّفسيق، المعالم, وكلّها من علوم الدّين. وفي أصول الفقه: الحاوي. وفي النّحو: الاقتصاد، الحاصر لفوائد مقدّمة طاهر، المنهاج، المحصّل في شرح أسرار المفصّل. وفي علم المعاني والبيان: الإيجاز والطّراز. وفي الفقه: الانتصار و الاختيارات... و غيرها. وهو من أكابر الأئمّة الزّيدية بالدّيار اليمنيّة، وله ميل إلى الإنصاف وعدم التّكفير والتّفسيق بالتّأويل، وهو كثير الذبّ عن أعراض الصّحابة رضي الله عنهم . وقد تقلّد باليمن إمارة المؤمنين سنة 729 هـ ، وتوفّي سنة 749 هـ .

((إنّ الباعث على تأليف هذا الكتاب هو أنّ جماعة من الإخوان شرعوا عليّ في قراءة كتاب (الكشّاف) تفسير الشّيخ العالم المحقّق أستاذ المفسّرين محمود بن عمر الزّمخشريّ، فإنّه أسّسه على قواعد هذا العلم، فاتّضح عند ذلك وجه الإعجاز من التّنزيل وتحقّقوا أنّه لا سبيل إلى الاطّلاع على حقائق إعجاز القرآن إلاّ بإدراكه، والوقوف على أسراره وأغواره،

ومن أجل هذا كان متميّزا عن سائر التّفاسير لأنّي لم أعلم تفسيرا مؤسّسا على علمي المعاني والبيان سواه، فسألني بعضهم أن أملي كتابا يشتمل على التّهذيب والتّحقيق، فالتّهذيب يرجع إلى اللّفظ والتّحقيق يرجع إلى المعاني، إذ كان لا مندوحة لأحدهما عن الثّاني))[1] .

((وقد اعتمد الزّمخشريّ بشكل واضح فُنون البيان والمعاني كما عرضها عبد القاهر الجرجاني في (الدّلائل) و(الأسرار)، فمن الموضوعات البلاغية التي استخدمها في تفسيره: قضيّة النّظم التي تحدّث عنها الجرجاني والفصل والوصل، والكناية وأنواعها, والتّشبيه والتّمثيل، والمجاز المرسل، والتّقديم والتّأخير، والذّكر والحذف... وغيرها. ومن هنا يعدّ الزّمخشريّ هو الذي أعدّ لاكتمال الفروع المختلفة لشجرة نظريّة علم المعاني، وعلم البيان، وذلك من خلال تطبيقاته المختلفة لهذه الفروع على القرآن الكريم بذوق أدبيّ مرهف، وحسّ فنّيّ دقيق))[2].

و ممّا سبق نخلص إلى أنّ القرآن الكريم كرّس فطريّة البلاغة العربيّة القائمة على السّليقة والذّوق ومناسبة الألفاظ لأقدار المعاني، وفتح للعلماء باب الدّرس لإرساء أسس علم أصبح قائما بذاته بين علوم العربيّة باسم ((علم البلاغة)) حتّى جاز بأن نقول إنّ البلاغة العربيّة لم توجد إلاّ في أحضان القرآن الكريم.

---

1 ــ يحي بن حمزة اليمنيّ ــ الطّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. 1 / 5

2 ــ يوسف أبو العدوس ــ البلاغة والأسلوبيّة. ص35

المبحث الثّاني:

البلاغة ممارسة قولية لا قواعـد تعليميّة

لعلّ بلاغة من البلاغات لم تحظ بمثل ما حظيت به البلاغة العربيّة على مرّ العصور من عناية العلماء بها تحديدا وتقريبا، وشرحا وتبويبا، وتقعيدا وترتيبا، حتّى لأنّ تعريفاتها قد بلغت من

الكثرة ما يجلّ عن العدّ، و يبعد أحيانا عن القصد، رغم صدورها كلّها من مسلّمة أنّ الكلام إنّما يفيد الإبانة عن أغراض المتكلّم.

تحقيق معنى البلاغة:

كثيرة هي تعاريف البلاغة المتداولة، ومنها[1]: البلاغة لمحة دالّة على ما في الضّمير؛ معرفة الفصل من الوصل؛ الإيجاز من غير عجز والإطناب من غير خطل؛ اختيار الكلام وتصحيح الأقسام؛ قليل يفهم وكثير لا يسأم؛ قرع الحجّة ودنوّ الحاجة؛ إقلال في إيجاز، وصواب مع سرعة جواب؛ الإشارة إلى المعنى بلمحة تدلّ عليه؛ الإيجاز مع الإفهام والتّصرّف من غير إضجار؛ إدراك المطالب وإقناع السّامع؛ وضوح الدّلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة؛ إجاعة اللّفظ بإشباع المعنى؛ ما قرب طرفاه وبعد منتهاه؛ إصابة المعنى وقصد الحجّة؛ بلوغ المعنى ولّما يطل سفر الكلام ؛ الجزالة والإطالة؛ معان كثيرة في ألفاظ قليلة، حسن العبارة مع صحّة الدّلالة؛ إبلاغ المتكلّم حاجته بحسن إفهام السّامع؛ القدرة على البيان مع حسن النّظام؛ كلمة تكشف عن البقيّة؛ أن تفهم المخاطب بقدر فهمه من غير تعب عليك؛ تقصير الطّويل وتطويل القصير؛ تحلية المعنى المزيز باللّفظ الوجيز، وطبق المفصل قبل التّحريز؛ قول يسير يشتمل على معنى خطير، شدّ الكلام معانيه وإن قصر، وحسن التّأليف وإن طال؛ قول تضطرّ العقول إلى فهمه بأيسر العبارة؛ دلالة أوّل الكلام على آخره، وارتباط آخره بأوّله؛ إهداء المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللّفظ؛ التّقرّب من البغية، دلالة قليل على كثير، ما صعب على التّعاطي وسهل على الفطنة...

---

1 ــ راجع كثيرا من هذه الحدود والتّعريفات في بيان الجاحظ، والصّناعتين للعسكريّ، والعمدة لابن رشيق، والدلائل والأسرار للجرجاني، والعقد الفريد لابن عبد ربّه.

وكثيرا ما نجد تعريف البلاغة قد أضيف إلى تعريف الفصاحة، حتّى ليقع الجمع بينهما أحيانا، وإن كانت هذه (أي الفصاحة) صفة للّفظ فقط، بينما لا تكون البلاغة وصفا إلاّ للألفاظ مع المعاني. و زاد البعض مصطلحا آخر هو (البراعة)، و من هؤلاء عبد القاهر الجرجاني الذي أعلن أنّ ((ألفاظ البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة وكلّ ما شاكل ذلك، إنّما يعبّر به عن فضل بعض القائلين على بعض، من حيث نطقوا وتكلّموا وأخبروا السّامعين عن بعض الأغراض و المقاصد، وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهمو يكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم

))[1]. ونقل السّيوطي[2] عن القاضي أبي بكر الباقلاّني في كتابه ((الانتصار)) أنّه حدّ البراعة بما يقرب من حدّ البلاغة، فيقال متكلّم بارع وكلام بارع، ولا يقال كلمة بارعة [3].

البلاغة ومعادلة اللّفظ والمعنى:

يظهر ممّا نقلناه من تعاريف، أنّ كلاّ منها يمسّ ناحية من النّواحي الكثيرة التي تعنى بها البلاغة، إلاّ أنّ أكثر تلك التّعاريف يومئ إلى الأساس الذي يساق له الكلام. أي: الإفهام أو التّواصل الذي لا يتأتّى من دون التّلاؤم أو التّناسب التّامّ بين عنصرَي اللّفظ والمعنى.

---

1 ــ عبد القاهر الجرجاني ــ دلائل الإعجاز. ص 46

2 ــ عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن همام الخضيري السيوطي, جلال الدين. إمام حافظ مؤرخ أديب. نشأ في القاهرة يتيماً (مات والده وعمره خمس سنوات) ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس, وخلا بنفسه في روضة المقياس, على النيل, منزوياً عن أصحابه جميعاً, فألّف أكثر كتبه.وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها. وطلبه السلطان مراراً فلم يحضر إليه, وأرسل إليه هدايا فردها. توفي سنة 911 هـ. كان يلقب بابن الكتب, لأن أباه طلب من أمه أن تأتيه بكتاب, ففاجأها المخاض, فولدته وهي بين الكتب. له نحو 600 مصنف, منها الإتقان في علوم القرآن ، الأشباه والنظائر ،بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تاريخ أسيوط, تاريخ الخلفاء ، التّحبير في علم التفسير، ترجمان القرآن ، تفسير الجلالين ، الجامع الصغير, جمع الجوامع ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، الدر المنثور في التفسير بالمأثور, طبقات الحفاظ، طبقات المفسرين ، عقود الجمان في المعاني والبيان، عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد ، مقامات السيوطي، اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، لباب النقول في أسباب النزول، متشابه القرآن ، المزهر ، مفحمات الأقران في مبهمات القرآن, همع الهوامع... وغير ذلك كثير.

3 ــ جلال الدّين السّيوطي ــ شرح عقود الجمان. ص 3 ، 4

وبذلك يستحقّ الكلام صفة البلاغة، ويكتسب من النّبل والشّرف ما لم يكن له لولاه. وهو المقصود من قول بشر بن المعتمر[1] : ((والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصّة، وكذلك ليس يتّضع بأن يكون من معاني العامّة، وإنّما مدار الشّرف على الصّواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال)) [2].وإلى ذلك أشار الباقلاّني بقوله: ((الكلام موضوع للإبانة عن الأغراض التي في النّفوس، وإذا كان كذلك وجب أن يتخيّر من اللّفظ ما كان أقرب إلى الدّلالة على المراد وأوضح في الإبانة عن المعنى المطلوب))[3]. وقال: ((وإذا كان الكلام إنّما

يفيد الإبانة عن الأغراض القائمة في النّفوس التي لا يمكن التّوصّل إليها بأنفسها وهي محتاجة إلى ما يعبّر عنها، فما كان أقرب في تصويرها، وأظهر في كشفها للفهم الغائب عنها، وكان مع ذلك أحكم في الإبانة عن المراد، وأشدّ تحقيقا في الإيضاح عن الطّلب، وأعجب في وضعه، وأرشق في تصرّفه، وأبرع في نظمه كان أولى وأحقّ بأن يكون شريفا))[4] .

من هذا المنظور فصفة البلاغة لا توجد إلاّ في اللّفظ والمعنى معا، بشرط التّركيب طبعا، فلا تُلتمس في مفرد اللّفظ الحوشيّ المُغرِب، و لا في مركّب الكلام المُسهب، كما أنّها لا تُتحسّس أيضا في المعاني الغامضة المُستصعبة، إنّما هي كما قال الآمدي[5]:

---

1 ــ هو أبو سهل بشر بن المعتمر رئيس المعتزلة بالبصرة وجميع معتزلة بغداد، وإليه تنسب الطّائفة المعروفة بالبشريّة. أفرط في القول بالتّولّد. كان راوية شاعرا نسّابة. توفّي سنة 210 هـ.

2 ــ الجاحظ ــ البيان والتّبيين. 1 / 95

3 ــ الباقلاّني ــ إعجاز القرآن. ص 137

4 ــ المرجع السّابق. ص 138

5 ــ الحسن بن بشر بن يحيى أبو القاسم الآمديُّ النحوي الكاتب. أخذ العلم عن الأخفش والزجَّاج وابن دريد وغيرهم، وولي القضاء بالبصرة. ولد بالبصرة وقدم إلى بغداد وكتب بها لأبي جعفرٍ هارون بن محمد الضّبي ، وأبي الحسن أحمد وطلحة ابني الحسن بن المثنَّى وبعدهما للقاضي أبي جعفر ابن عبد الواحد الهاشمي، ثم لأخيه أبي الحسن محمد بن عبد الواحد لما ولي قضاء البصرة، ثم أنه لزم بيته إلى أن مات سنة 370 هـ. من تصانيفه: المؤتلف والمختلف، نثر المنظوم، الموازنة بين أبي تمام والبحتري ، ما في عيار الشعر من الخطأ، فرق ما بين الخاصّ والمشترك من معاني الشعر، تفضيل شعر امرئ القيس ، تبيين غلط قدامة بن جعفر ، معاني شعر البحتري، الرّد على ابن عمارٍ فيما خطَّأ فيه أبا تمامٍ، كتاب فعلت وافعلت، كتاب الحروف من الأصول في الأضداد... وغيرها وله ديوان شعر صغير.

((إصابة المعنى وإدراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة مستعملة سليمة من التّكلّف، لا تبلغ الهذْر الزّائد على قدر الحاجة، ولا تنقص نقصانا يقف دون الغاية، وذلك كما قال البحتريّ [1]:

والشّعر لمح تكفي إشارته وليس بالهَذْرِ طُوّلتْ خُطَبُهْ [2]

وكما قال أيضا:

ومعان لو فصّلتها القوافي هجّنت شعر جَرْوَلٍ ولَبِيدِ [*]

حزن مستعمل الكلام اختيارا وتجنّبن ظلمة التّعقيد

و رَكِبْنَ اللّفظَ القَريبَ فأدركْنَ به غاية المَرام البعيد[3]

فإن اتّفق مع هذا معنى لطيف أو حكمة غريبة أو أدب حسن، فذلك زائد في بهاء الكلام، وإن لم يتّفق فقد قام الكلام بنفسه، واستغنى عمّا سواه »[4].

ولعلّ التّعريف الأفصح عن معنى البلاغة، في نظرنا، هو قول أبي هلال العسكريّ: « البلاغة كلّ ما تبلّغ به المعنى قلب السّامع، فتمكّنه في نفسه كتمكّنه في نفسك، مع صورة مقبولة ومعرض حسن »[5]. فهذا التّعريف يجمع إلى جانب المعنى المعبّر عنه، الصّورة اللّفظية المعبّر بها عن ذلك المعنى، وهي لا تكون اعتباطية، بل موافقة من كلّ الوجوه لما سيقت له، لا تزيد دلالتها عن الحدّ، ولا تنقص عن الوفاء بالقصد، ويقترن هذا الأداء بشرط آخر هو المعرض الجميل أو الهيئة اللّفظية الحسنة، ومن جماع ذلك كلّه ينشأ الغرض الأسمى للكلام، وهو المتمثّل في التّبليغ، الذي من شأنه أن يُحْدِثَ في نفس المتلقّي من التّأثير كما لو كان هو الباثّ ذاته.

---

1 ــ هو الوليد بن عبيد أبو عُبادة الطائي البحتري الشّاعر (206 ــ 284 هـ)

2 ــ ديوان البحتري. 1 / 229

(*) يريد الشّاعر جرول بن أوس المعروف بالحطيئة، والشّاعر لبيد بن ربيعة العامريّ.

3 ــ المصدر نفسه. 2 / 329

4 ــ الآمدي ــ الموازنة بين أبي تمام والبحتري. ص 380 ، 381

5 ــ أبو هلال العسكريّ ــ كتاب الصّناعتين. ص19

البلاغة إذاً، نتاج تمازج قويّ بين اللّفظ والمعنى ، فلا قيمة لأحدهما دون الآخر، ومن ثمّ لم يكن الجدل في أفضليّة أحد العنصرين في واقع الأمر سوى ضرب من الإغراب أسهم بشكل أو بآخر في المباعدة بين مستويي البلاغة اللّذين أشرنا إليهما في مدخل هذه الدّراسة. و لقد أدرك علماء اللّغة منذ القديم أهمّية الائتلاف بين هذين الرُّكنين وما يتّصل بذلك من جوانب، بأن تكون الألفاظ في أصواتها وصيغها وتراكيبها وإيحاءاتها صدى للمعنى، يعبّر عنه ويغني إدراكه، ويعمّق الإحساس به. تلك هي القاعدة العامّة التي أخذ بها كلّ من تعاطى الكلام

تذوّقا أو تأليفا، من شعراء وأدباء و نقّاد و بلاغيين ومناطقة ومتكلّمين ... وغيرهم. قال ابن سينا[1]: ((ولأن بين اللّفظ والمعنى علاقة ما، وربّما أثّرت أحوال في اللّفظ في أحوال المعنى، فلذلك يلزم المنطقيّ أن يراعي جانب اللّفظ المطلق من حيث ذلك غير مقيّد بلغة قوم دون قوم))[2]. و مقتضى هذا أنّ النّظر في المعاني إنّما يكون مؤسّسا على أحوال الألفاظ الكثيرة، كمعرفة الألفاظ حال إفرادها، وتركيبها، واشتراكها، وتشقيقها، وسائر أحوالها في دلالتها ممّا هو غير مقيّد، في نظره، بلغة قوم دون غيرها.

لقد كشف جانب اللّفظ والمعنى، عن ميدان واسع تبارت فيه المواهب، وتبدّت من خلاله المعارف والثّروات اللّغويّة. و إذا كان البلاغيون والأدباء والنّقّاد قد ذهبوا فيه مذاهب شتّى، فإنّهم التقوا جميعا أو كادوا عند حدّ النّظر إلى تلك العلاقة بين اللّفظ والمعنى بأنّها أسّ البلاغة وكيانها، فقد شبّهها بعضهم بما يربط بين جسم الكائن الحيّ وروحه. قال أبو هلال العسكريّ: ((الألفاظ أجساد، والمعاني أرواح، وإنّما تراها بعيون القلوب، فإذا قدّمت منها مؤخّرا، أو أخّرت منها مقدّما أفسدت الصّورة وغيّرت المعنى، كما لو حوّل رأس إلى موضع يد، أو يد إلى موضع رجل، ولتحوّلت الخلقة وتغيّرت الحِلْية))[3].

---

1 ــ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا الحكيم الفيلسوف المشهور (370ــ 428 هـ) أبوه من أهل بلخ. ولد بقرية من ضياع بخارى يقال لها خرميثنا، وتنقل بعد ذلك في البلاد، واشتغل بالعلوم ، ولما بلغ العاشرة من عمره كان قد أتقن علم القرآن والأدب و أصول الدين وحساب الهندسة والجبر والمقابلة و الفسفة والمنطق و الفقه ثم رغب في الطب. ولم يبلغ الثامنة عشرة حتّى فرغ من تحصيل العلوم. كان نادرة عصره في علمه وذكائه. من كتبه: "الشفاء" و"النجاة" و"الإشارات" و"القانون" وغير ذلك مما يقارب مائة مصنف و رسالة في شتى الفنون.

2 ــ ابن سينا ــ الإشارات والتّنبيهات. 1 / 131

3 ــ أبو هلال العسكريّ ــ كتاب الصّناعتين. ص 310 ، 311

وبنفس المنظور تناول ابن رشيق القيرواني تلك العلاقة، فقال: ((اللّفظ جسم و روحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الرّوح بالجسم، يضعف بضعفه ويقوى بقوّته))[1]. فكما أنّ الكائن الحيّ برمّته لا يقوم من جسم و حسب، ولا من روح وفقط، كذلك فاللّغة في أصواتِها وصيغها وتراكيبها لا أهمّية لها في ميزان البيان ما لم تعبّر عن معنى.

أمّا عبد القاهر الجرجاني (471 هـ) فقد مثّل لتلك العلاقة بِما يربط الخادم و المخدوم، وعنده ((أنّك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب

الألفاظ، بل تجدها تترتّب لك بحكم أنّها خدم للمعاني، وتابعة لها ولاحقة بِها، وأنّ العلم بمواقع المعاني في النّفس، علم بمواقع الألفاظ الدّالّة عليها في النّطق »[2]. وقال في موضع آخر: « الألفاظ خدم المعاني والمصرّفة في حكمها، والمعاني هي المالكة سياستها، المستحقّة طاعتها، فمن نصر اللّفظ على المعنى كان كمن أزال الشّيء عن جهته، وأحاله عن طبيعته، وذلك مظنّة الاستكراه وفيه فتح أبواب العيب والتّعرّض للشّين »[3]. وبِهذا المنظور يكون الجرجاني قد أومأ إلى عنصر خطير جدّا في حياة البلاغة العربيّة، ألا وهو خضوع الهيئة اللّفظية المعبّر بِها لمقياس وحيد لا غير، هو المعنى القائم في النّفس، مع ما يتبعه من المعاني الأُوّل والمعاني الثّواني. فالكلام عنده على ضربين « ضَرْبٌ أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللّفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلاً بالخروج على الحقيقة، فقلت: خرج زيد، وبالانطلاق عن عمرو فقلت: عمرو منطلق، و ضَرْبٌ آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللّفظ وحده، ولكن يدلّك اللّفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللّغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بِها إلى الغرض »[4].

---

1 ــ ابن رشيق ــ العمدة. ص247

2 ــ عبد القاهر الجرجاني ــ دلائل الإعجاز. ص 88

3 ــ عبد القاهر الجرجاني ــ أسرار البلاغة. ص 13

4 ــ عبد القاهر الجرجاني ــ دلائل الإعجاز. ص 177

و يستدلّ على ذلك من خلال الأمثلة فيقول: « أَوَ لا ترى أنك إذا قلت: هو كثير رماد القدر، أو قلت: طويل النّجاد، أو قلت في المرأة: نؤوم الضّحى، فإنك في جَميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرّد اللّفظ، ولكن يدلّ اللّفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره، ثم يعقل السّامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانياً هو غرضك كمعرفتك من كثير رماد القدر أنّه مضياف، ومن طويل النّجاد أنه طويل القامة، ومن نؤوم الضّحى في المرأة أنّها مترفة مخدومة لَها من يكفيها أمرها. وكذا إذا قال: رأيت أسداً ودلّك الحال على أنه لم يرد السّبع

علمت أنّه أراد التشبيه، إلاّ أنّه بالغ فجعل الذي رآه بحيث لا يتميز من الأسد في شجاعته. وكذلك تعلم في قوله: بلغني أنّك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، أنّه أراد التّردّد في أمر البيعة، واختلاف العزم في الفعل وتَرْكِه على ما مضى الشّرح فيه »[1]. وملخّص هذا عند الجرجاني عبارة مختصرة « وهي أن تقول المعنى ومعنى المعنى، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللّفظ، والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللّفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر »[2].

ويعود الجرجاني في مكان آخر من « دلائل الإعجاز » ليطرح نفس الفكرة بصبغة يحسده عليها كثير من المعاصرين[3]، حيث يقول: « إن المفسَّر يكون له دلالتان: دلالة اللّفظ على المعنى، ودلالة المعنى الذي دلّ اللّفظ عليه على معنى لفظ آخر، ولا يكون للتّفسير إلا دلالة واحدة، وهي دلالة اللّفظ، وهذا الفرق هو سبب أن كان للمفسَّر الفضل والمزيّة على التّفسير »[4]

---

1 و 2 ــ المرجع السّابق. ص 177

3 ــ يرى الدّكتور أحمد حساني أنّ فكرة الجرجاني قريبة من مفهوم « بيرس » للعلامة، من حيث قابليّة المفسّرة لأن تتحوّل إلى متوالية من العلامات لها فضاء دلالي غير محدود.(انظر: د. أحمد حساني. مباحث في اللّسانيات. ص145) بل إنّ فكرة الجرجاني صارت عنوان كتاب حول دراسة المعنى، ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1923 م وهو كتاب « معنى المعنى The Meaning Of Meaning » الذي وضعه « ريتشاردز » و « أوجدن » .

4 ــ عبد القاهر الجرجاني ــ دلائل الإعجاز. ص 284

و يُفهم من نظريّة عبد القاهر أنّ اعتبار المعنى يوجب بالضّرورة هيئة لفظية ليست تتوجّب في مقام غير الذي أوجبها، حتّى ليستحيل التّعبير عن المعنى الواحد بصيغتين لفظيتين مختلفتين، والذي عليه أهل البيان أنّ المتكلّم لا يتعاطى ما تعاطاه إلاّ على ما تستوجبه المعاني القائمة في نفسه. مِمّا يعني أنّ كلّ تغيير، مهما كان حجمه، في البنية اللّفظية، سواء بالزّيادة أو بالنّقصان أو بِمَفْصَلَةِ الأجزاء، يقابله حتما تغيير في المعنى المعبَّر عنه.

و نشير هنا أيضا إلى محاولة عربيّة رائدة في مجال فلسفة المعنى، وهي تلك التي أوردها حازم القرطاجنّي (684 هـ) في ((منهاجه)) فقد بحث في حقائق المعاني ذاتها، وأحوالها وطرق استحضارها وانتظامها في الذّهن، وأساليب عرضها وصور التّعبير عنها، حتّى كان له من ذلك شبه نظريّة متكاملة، تصلح أن يحتذيها البلغاء منهاجا، ويتّخذها الأدباء سراجا.

لقد قرّر حازم أنّ من المعاني ما يقع خارج دائرة الذّهن، ومنها ما يقع داخلها. يقول في هذا البيان: ((وإذ قد عرفنا كيفية التّصرّف في المعاني التي لها وجود خارج الذّهن والتي جعلت بالفرض بِمنْزِلَةِ ما له وجود خارج الذّهن أصلا، وإنّما هي أمور ذهنية محصولها صور تقع في الكلام بتنوّع طرق التّأليف في المعاني والألفاظ الدّالة عليها والتّقاذف بِها إلى جهات من التّرتيب والإسناد ، وذلك مثل أن تنسب الشّيء إلى الشّيء على جهة وصفه به، أو الإخبار بِه عنه، أو تقديمه عليه في الصّورة المصطلح على تسميتها فعلا أو نحو ذلك . فالإتباع والجرّ وما جرى مجراهما معان ليس لها خارج الذّهن وجود، لأنّ الذي خارج الذّهن هو ثبوت نسبة شيء إلى شيء أو كون الشّيء لا نسبة له إلى الشّيء، فأمّا أن يقدّم عليه أو يؤخّر عنه أو يُتصرّف في العبارة عنه نحوا من هذه التّصاريف، فأمور ليس وجودها إلاّ في الذّهن خاصّة)) [1] و المعاني عنده ((قد تكون مفردة الأجزاء أو مُتَضاعِفَتَها، وقد يكون بعض أجزائها مفردا وبعضها مضاعفا)) [2] .

---

1 ــ حازم القرطاجنّي ــ منهاج البلغاء . ص 15 ، 16

2 ــ المصدر نفسه. ص 32

وكذلك فهي، أي المعاني، تقع على هيئات وصور يعزّ حصرها، وهو الأمر الذي يجعل التّوصّل إليها، والتّمييز بين أجزائها، وإدراك علائقها متفاوتا من حيث الحاجة إلى الاستدلال وإعمال الفكر، بل ولا بدّ معه من طبع سليم وذوق صحيح للتّمييز بين ما يحسن من المعاني وما لا يحسن، وما يصحّ أو لا يصحّ. وفي ذلك يقول حازم: ((وإنّما نعرف صحّتها من خللها أو حسنها من قبحها بالقوانين الكلّية التي تنسحب أحكامها على صنف صنف منها،

ومن ضروب بيانِها ... ولا بدّ مع ذلك من الذّوق الصّحيح والفكر المائز بين ما يناسب وما لا يناسب وما يصحّ وما لا يصحّ بالاستناد إلى تلك القوانين على كلّ جهة من جهات الاعتبار في ضروب التّناسب وغير ذلك مِمّا يقصد تحسين الكلام به »[1].

ويلاحظ حازم في المعاني التي تقع داخل دائرة الذّهن علاقات وروابط شتّى، وبينها « تطالب » من عدّة جهات حتّى يكون سببها من الخفاء بحيث قد يتعذّر عرفان كنهه، « فمنها ما يتطالب بحسب الإسناد خاصّة، ومنها ما يتطالب بحسب الإسناد وبحسب انتساب بعض المعاني إلى بعض في أنفسها بكونِها أمثالا أو أشباها أو أضدادا أو متقاربات من الأمثال أو الأضداد... فأمّا ما التّطالب فيه بحسب انتساب بعض المعاني إلى بعض فلا تخلو النّسبة فيه من أن تقع بين المعنيين بواسطة أو بغير واسطة، فأمّا ما وقعت فيه بغير واسطة فيمكن حصر أنواعه وصوره، وأمّا ما يقع النّسب فيه بواسطة فعزيز حصرها فيه لكون كل معنى يُمكن أن يكون جهة للتّطالب بين معنيين بتوسّطه، وجهة التّطالب هي النّسبة ولقوى النّفوس تفاضل في ملاحظة الجهة النّبيهة في نسبة معنى إلى معنى والتّنبّه إليها، ومبحثها في ذلك على الجهات التي تفيد معاني كالتّشبيهات والتّتميمات والمبالغات والتّعليلات وغير ذلك من ضروب الوجوه التي تكسب الكلام حسنا وإبداعا »[2].

ويتأكّد مِمّا سبق أنّ استكناه المعاني التي تحملها النّظوم والأشكال اللّفظية لا يتأتّى بحصرها مقدّما في بنيات لفظية بذاتِها، فقد لا يُؤمّن ذلك أحكاما دقيقة، نحو ما كان بين علماء العربيّة من تباين في فهم الظّواهر البلاغية كالتّجريد مثلا.

---

1 ــ المصدر السّابق. ص35

2 ــ المصدر نفسه. ص44

المبحث الثّالث:

إشكالية التّفريق بين ميادين علم البلاغة

البلاغة تطلق صفة للكلام وللمتكلّم؛ فأمّا بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته بشرط التّركيب. وأمّا بلاغة المتكلّم فهي ملكة يقتدر بِها على تأليف الكلام البليغ. وهذا الإطلاق يشير إلى أنّ الأساس الأوّل الذي تقوم عليه البلاغة هو الملكة أو الطّبع،

كما نبّه على ذلك كثير من العلماء، فقد نقل ابن رشيق في كتابه ((العمدة في محاسن الشّعر وآدابه)) عن أبي الحسن عليّ بن عيسى الرّمّاني قوله: ((أصل البلاغة الطبع، ولها مع ذلك آلات تعين عليها، وتوصل للقوة فيها، وتكون ميزاناً لها، وفاصلة بينها وبين غيرها، وهي ثمانية أضرب: الإيجاز، والاستعارة، والتّشبيه، والبيان، والنّظم، والتّصرّف، والمشاكلة، والمثل))[1]. ومعلوم أنّ الطّبع لا يُقتدر به وحده على تأليف الكلام البليغ ما لم تُتَوِّجْهُ آلة يستعان بِها على ذلك، وكذلك العكس، فامتلاك الآلة وحدها لا يصنع الملكة أو الطّبع، ويكون صاحبها حينئذ ((بِمثابة من يعرف صناعة من الصّنائع علما ولا يُحْكمها عملاً))[2] و ما تلك الآلة في حقيقة الأمر سوى القوانين البلاغية المبيّنة لكمّيات الألفاظ، وأنواعها، وطرق نظمها على ما تقتضيه المعاني المعبّر عنها، وما تستوجبه سنن العرب في الكلام. وإن شئنا فهي العلم الذي سمّوه ((علم البلاغة)). وإذ قد علم ذلك فبنا إلى أن نتبيّن مركّبات هذا العلم أوّلا، لما فيه من استعانة على وصف الظّواهر البلاغية وتصنيفها وتبويبها وإيجاد القوانين الكلّية التي تنتظمها.

---

1 ــ ابن رشيق القيرواني ــ العمدة في محاسن الشّعر وآدابه. ص501

2 ــ عبد الرحمن بن خلدون ــ المقدّمة. ص 560

ميادين علم البلاغة:

علم البلاغة هو عبارة عن علم المعاني والبيان والبديع. وقد اعتمد العلماء والدّارسون هذا التّصنيف بغرض تقريب أبواب العلم، وشرح فروعه، وشدّ أزر البليغ والمتأدّب بأن يُكوّن له من الإحاطة بِمتعلّقات هذه العلوم عُدّة يحترز بِها عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، ويبلغ الغرض المصوغ له الكلام. ويُمَيِّزُ بِها الفصيح من غيره مِمّا يُنشئ أو يسمع.

أوّلا : علم المعاني

جاء في ((مفتاح العلوم)) لأبي يعقوب السّكاكي[1] (626 هـــ) أنّ علم المعاني ((هو تتبّــع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتّصل بِها من الاستحسان وغيره، ليحترز بــالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره))[2].

و قد جرت كلّ الشّروح على حصر المقصود من هذا العلم في ثمانية أبواب هي:

1) أحوال الإسناد الخبريّ؛
2) أحوال المسند إليه؛
3) أحوال المسند؛
4) أحوال متعلّقات بالفعل؛
5) القصر؛
6) الإنشاء؛
7) الفصل والوصل؛
8) الإيجاز والإطناب والمساواة.

---

1 ــ يوسف بن أبي بكر محمّد أبو يعقوب السّكاكي (554 ــ 626 هـ) من أهل خوارزم. إمــام في العربيّــة والمعــاني، والبيان والأدب، والعروض والشّعر، متكلّم فقيه في علوم شتّى، وهو أحد أفاضل علماء العصر الذين ســارت بــذكرهم الرّكبان. إمام فتّ في عضده حبّ الفلسفة، فعمد إلى علوم العربيّة، ووضع كتاب ((مفتاح العلوم)) بعد اطّلاعه علــى علوم أسلافه، وتميّز عنهم بحسن التّرتيب ودقّة التّبويب، فأتى كتابه شاملا لعلوم: الصّرف، والاشتقاق والنّحــو، وعلــوم البلاغة من معان وبيان، وعلم الحدّ والاستدلال، وعلم العروض.(من مقدّمة محقّق المفتاح ــ بتصرّف)

2 ــ أبو يعقوب السّكاكي ــ مفتاح العلوم. ص161

ثانيا: علم البيان:

علم البيان هو ((معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزّيادة في وضوح الدّلالة عليــه، وبالنّقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكــلام لتمــام المــراد منــه))[1] وهو شعبة من علم المعاني لا تنفصل عنه إلاّ بزيادة اعتبار، على ما ذكر السّكاكي[2].

و تنحصر مباحثه في التّشبيه والمجاز والكناية. فرغم قلّة مباحثه، مقارنة بعلمي المعاني والبديع، فهو يستغرق آفاق البلاغة كلّها كما قال الجاحظ: ((والبيان اسمٌ جامعٌ لكلِّ شيءٍ كشَفَ لك قِناعَ المعنى، وهتكَ الحِجَاب دونَ الضمير، حتّى يُفْضِيَ السّامعُ إلى حقيقتــه، ويَهجُــم علــى محصولِهِ كائناً ما كان ذلك البيانُ، ومن أيِّ جنسٍ كان الدّليل؛ لأنّ مَدَارَ الأمرِ والغايةَ الــتي

إليها يجرِي القائل والسّامع، إنَّما هو الفَهْمُ والإفهام؛ فبأيِّ شيءٍ بلغْتَ الإفهامَ وأوضَحْتَ عن المعنى، فذلك هو البيانُ في ذلك الموضع »[3]. وعلى هذا فالبيان عند الجاحظ هو: الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي،

وأكثر البلاغيين على أنّ مدار هذا الفنّ على الذّوق أكثر منه على التّعليم، فقد يكون من الغلوّ دعوى حيازته مكمولا، فذلك مطلب تقصر عنه استطاعة الإنسان. قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْآنَ * خَلَقَ ٱلإِنسَانَ * عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾[4]. وقد أصابوا بقولِهم: « شيئان لا نهاية لهما: البيان والجمال »[5].

---

1 و 2 ــ المصدر السّابق. ص162

3 ــ الجاحظ ــ البيان والتّبيين. 1 / 55

4 ــ سورة الرحمن. الآيات: 1 ــ 4

5 ــ ابن الأثير ــ المثل السّائر. ص 12

ثالثا: علم البديع

أمّا علم البديع فقد حدّه العلماء بأنّه « العلم الذي تعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقته لمقتضى الحال ورعاية وضوح دلالته »[1] و جعلوا مباحثه قسمين: أحدهما متعلّق بأحوال اللّفظ و الثّاني بالمعنى، وفي هذا التّقسيم نظر، فما يستفاد من التّعريف السّابق هو أنّ الحلية الصّامتيّة ليست في واقع الأمر سوى وجه واحد من الوجوه المَرعِيّة في الكلام حتّى يُنْسبَ إلى هذا العلم. بل العبرة فيه، وفي المقام الأوّل، بوضوح المعنى ومراعاة مقتضى الحال. أي بكلّ امتدادات علمي المعاني والبيان، بما يجعله هو البلاغة برمّتها.

و قد سمّيت البلاغة في أوّل حياتها « بديعا » فكانت هذه اللّفظة تطلق على كلّ الفنون البلاغية المعروفة آنذاك. وينسب إطلاق هذه الكلمة لأوّل مرّة إلى الشّاعر مسلم بن الوليد[2]

(207هـ) قال الخطيب التّبريزي[3]: ((وهو أوّل من عقد هذه المعاني اللّطيفة واستخرجها، وهو أوّل من أفسد الشّعر بهذا النّوع الذي سمّاه النّاس بالبديع))[4].

ومِمّا يشير إلى أهمّية هذا الجانب أنّ الجاحظ عَزَا إليه ما في لغة العرب من اتّساع. قال: ((والبديع مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كلّ لغة، وأَرْبَتْ على كلّ لسان))[5] وعدّه بعض العلماء من عُدّة المفسّر، بل وجه من وجوه الإعجاز الكثيرة في القرآن [6].

---

1 ــ السّيوطي ــ شرح عقود الجمان. ص 104

2 ــ هو مسلم بن الوليد، من أبناء الأنصار، وكان يلقب "صريع الغواني". وكان مداحاً محسناً، وجل مدائحه في يزيد بن مزيد والي أرمينية، وداود بن يزيد المهلبي، والبرامكة، ومحمد بن منصور بن زياد كاتبهم. وولي في خلافة المأمون بريد جرجان، فلم يزل بها حتى مات سنة تسعٍ وسبعين ومائةٍ.

3 ــ أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني التبريزي الخطيب (421 ــ 502 هـ) إمام اللغة و الأدب. قرأ على أبي العلاء المعري وأبي القاسم عبيد الله بن علي الرقي وأبي محمد الدهان. وسمع الحديث من أبي الفتح سليم بن أيوب الرازي و أبي القاسم عبد الكريم بن محمد الدلال البغدادي وأبي القاسم عبيد الله بن ثابت علي. وروى عنه أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، و أبو الفضل محمد بن ناصر وأبو منصور بن أحمد الجواليقي و أبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الأندلسي وغيرهم ، وتخرج عليه خلق كثير. من مصنّفاته: شرح الحماسة ، شرح ديوان المتنبي، شرح سقط الزند ، شرح المعلقات السبع، شرح المفضليات، تهذيب غريب الحديث، تهذيب إصلاح المنطق، الكافي في في علم العروض والقوافي، الملخّص في إعراب القرآن ... وغير ذلك .

4 ــ انظر: ديوان الحماسة. 1 / 391

5 ــ الجاحظ ــ البيان والتّبيين. 4/ 119

6 ــ السّيوطي في الإتقان. 1 / 6. وكذا في معترك الأقران. 1 / 241

إشكالات التّصنيف:

لئن قُدّر لهذا التّصنيف أن يُعتمد سبيلا لتكوين قدرة الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، وتمييز الفصيح عن غيره من الكلام، فإنّه لم يسلم، في نظرنا، من بعض العوارض التي تجعل تلك القدرة رهينة التّأويل والظّنّ، بما يحول دون استيعاب مختلف الوضعيات الكلاميّة، والنّاتج من ذلك حتما سلب معاني الكلام فاعليّتها، وصرفها عن جهتها. ولو كان الأمر متوقّفا على ما ينتجه البشر من خطابات شعريّة أو نثريّة في ملابسات حياتهم المختلفة، لبدا هيّنا مستساغا، ولكن قد يتعدّى ذلك أحيانا، فيكون المستهدف كلام ربّ العالمين ذي الخصوصيّة المزمّمة بزمام الصّدور عن حكيم حَميد، منزّه عن كلّ شيهة أو ريب، قال تعالى: ﴿ لاَّ يَأْتِيهِ ٱلْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ منْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[1] وقال: ﴿ قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[2].

وتعود بعض تلك العوارض ــ في نظرنا ــ إلى أقسام البلاغة مجتمعة، وبعضها إلى البيان والبديع معا، و أمّا أكثرها فيرجع على علم البديع دون القسمين الآخرين.

فأمّا الذي يمسّ أقسام البلاغة مجتمعة، فإنّ تلك الأقسام ذُكرت أحيانا يأنّها علوم وأحيانا أخرى أُشير إليها بأنّها من جملة الفنون، ممّا يوهم ببعض الاضطراب، إذ العلوم كلّها قواعد موضوعيّة، قوامها العقل وسندها المنطق، وأمّا الفنون فحصيلة الذّوق، ونتاج المخيّلة الصّافية. وكمثال عن هذه المفارقة ما جاء في تعريف أبي يعقوب السّكاكي (626 هـ) لعلم المعاني من أنّه ((تتبّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتّصل بِها من الاستحسان وغيره، ليُحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما تقتضي الحال ذكره))[3]

---

1 ــ سورة فصّلت. الآية:42

2 ــ سورة الزّمر. الآية:28

3 ــ أبو يعقوب السّكاكي ــ مفتاح العلوم. ص161

فهذا التّعريف تحفّظ عليه جلال الدّين القزويني[1] (739هـ) بأنّ ((التّتبّع ليس بعلم ، و لا صادق عليه، فلا يصحّ تعريف شيء من العلوم به))[2] . وقال في ((الإيضاح)) أيضا: ((علم البيان هو فنّ يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدّلالة عليه))[3] فقد عرّف العلم بالفنّ، وهذان شيئان متباينان.

من قبيل تلك المفارقة أيضا قول ابن المعتز (296هـ) عن البديع بأنّه ((اسم موضوع لفنون من الشّعر، يذكرها الشعراء و نقّاد المتأدبين منهم، فأمّا العلماء باللغة و الشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدركون ما هو))[4]. فزيادة على أنّه عدّ البديع من جملة الفنون، قد جعله وقفا على الشّعراء ونقّاد المتأدّبين دون العلماء باللّغة.

من جهة أخرى يمكن أن نلاحظ أنّ علم البيان، كما عرّفه العلماء، يعادل في البلاغة العربية محسنات المعنى ومحسنات الأفكار. أو هو بتعبير أدقّ البلاغة بكلّ أقسامها، وهذا يتطلب منا الإشارة إلى أن الحدود بين أنماط الصّور البلاغية ليست واضحة دائما.

وأمّا ما يرتبط بعلمي البيان والبديع، فمرجعه التّباين الحاصل في تبويب مباحث كلّ قسم وتداخلها على نحو ما نبّهنا عليه في مدخل هذه الدّراسة.

وأمّا ما يعود من تلك العوارض إلى علم البديع دون المعاني والبيان، فقد ربا على ما سواه. و منه أنّ كتب البلاغة تواترت على تأخير مباحث علم البديع، مؤسّسة ذلك

---

1 ــ محمّد بن عبد الرّحمن بن عمر أبو المعالي جلال الدّين القزويني الشّافعيّ (66 ــ739هـ) من أحفاد أبي دلف العجلي. قاض، فقيه وأديب أصله من قزوين ومولده بالموصل. ولي القضاء في ناحية بالروم ثم بدمشق سنة 724 هـ فقضاء القضاة بمصر سنة 727 هـ، ونفاه السّلطان النّاصر إلى دمشق سنة 738 هـ ثمّ ولاّه القضاء بها، فاستمرّ إلى أن توفي.كان يجيد التّركية والفارسية إلى جانب العربيّة. من كتبه: الإيضاح، تلخيص المفتاح، شرح التّلخيص...

2 ــ جلال الدّين القزوينيّ ــ الإيضاح في علوم البلاغة. ص 19

3 ــ المرجع نفسه. ص 314

4 ــ ابن المعتزّ ــ البديع. ص 106

في أكثر الأحوال على اعتبار ثانويّته قياسا بعلمي المعاني والبيان، أو على إخراجه من دائرة البلاغة تماما. قال الشّيخ أحمد الدّمنهوري[1]: ((البديع ليس جزءا من البلاغة بل هو تابع لَهَا فالنّظر فيه فرع النّظر فيها فلذلك أُخّر))[2] وأكثر من ذلك كلّه، فإنّ بعضهم ذهب إلى حدّ اعتبار علم البديع ممّا يستحسن تركه وإسقاطه من جملة العلوم التي يُجدّ في طلبها، فقد حكى عبد القادر بن شيخ العيدروس (1038 هـ)[3] عن بعض مشايخه أنّه سئل عن معنى قول القائل[4]:

وانْسَ العُلُومَ وَمَاَ قَدْ كُنْتَ تَكْتُبُهُ فَمَحْوُهُ وَاجِبٌ مِنْ كُلِّ مُكْتَتَبِ

فقال: ((أمره بنسيان العلوم وهي كثيرة؛ فمنها علوم يجب نسيانها لذاتها كعلم السّحر والنّجوم والرّمل و الجدل و الرّجز و الفأل والمنطق عند قوم من أهل الورع، وثمّ علوم يحسن

نسيانها، بمعنى التّرك لما هو أعلى منها وهو علم الصّرف والنّحو والعروض والتّواريخ والبديع إلاّ المعاني والبيان لتكفّلهما بإيضاح معاني القرآن وإظهار بلاغته))[5].

---

1 ــ أحمد بن عبد المنعم بن خيام الشهير بالشيخ الدمنهوري أبو المعارف شهاب الدين (1090ــ 1192 هــ) نشأ طالباً للعلوم فأخذ عن جملة من العلماء بين شافعيّة ومالكيّة وحنفيّة وحنبليّة، إلى أن صار عالماً بالمذاهب الاربع، وتولّى مشيخة الأزهر بعد وفاة الشيخ محمد الحفني سنة 1181 هــ .له يد في شتّى العلوم كالكيمياء والأوفاق والهيئة والحكمة والطب، وله في كلّ منها تآليف عديدة،ومنها:شرح على سلم الأخضري في المنطق، وشرح على رسالة الاستعارات السمرقندية، وشرح على أوفاق قلب القرآن وغير ذلك من التآليف .

2 ــ الشيخ أحمد الدّمنهوري ــ حلية اللّبّ المصون (بهامش شرح عقود الجمان للسّيوطي.ص132

3 ــ هو عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس الحضرمي. مؤرّخ باحث من أهل اليمن سكن حضرموت وانتقل إلى أحمد اباد بالهند فتوفّي بها. من مؤلّفاته: النّور السّافر في أخبار الفرن العاشر، الرّوض النّاضر في من اسمه عبد القادر من أهل القرنين التّاسع والعاشر، تعريف الأحياء بفضائل الإحياء، الفتوحات القدسيّة في الخرقة العيدروسية، والدّر الثّمين في بيان المهمّ من علوم الدّين... وغيرها.

4 ــ هو محمد بن علي بن محمد السّودي، أبو عبد الله الشهير بالهادي اليمني. (? – 932 هــ / ? – 1525 م) شاعر متصوف من أهل تعزّ باليمن.

5 ــ العيدروس ــ النّور السّافر عن أخبار القرن العاشر. ص 383 ، 384

ومن أمر البديع تزايد مباحثه أو تناقصها تبعا لتعدّد مشارب العلماء وتباين فهومهم، واختلاف أذواقهم، فإذا كانت لا تتجاوز الستّة عشر نوعا عند عبد الله ابن المعتزّ (296هــ) في كتاب ((البديع))، أو الواحد والعشرين عند قدامة بن جعفر[1] (337 هــ) في كتابه ((نقد الشّعر)) أو الأربعين في كتاب ((الصّناعتين)) لأبي هلال العسكريّ (395هــ)، فقد أنهاها بعضهم إلى مائتي نوع[2].

وممّا يتعلّق بعلم البديع أيضا، وهو أخطر من غيره، اتّجاه كثير من البحوث والدّراسات البلاغية إلى حصر جمال الأشكال البديعية في الحلية الصّامتية دون غيرها، حتّى لم يعد لألوان البديع، في نظر الكثيرين، من أهمّية سوى أن يكتسب بها اللّفظ جرسا يروق السّمع، مع أنّ مناسبة المعنى المصوغ له الكلام، وملاءمة مقتضى الحال هي أوّل الاعتبارات فيما يُعرف بوجوه

تحسين الكلام التي هي موضوع علم البديع، كما يستفاد من تعريفه. ويؤكّد ذلك أنّ قسما معتبرا من تلك الأشكال تداولت كتب البلاغة تسميته بالمحسّنات البديعية المعنويّة كالطّباق، والمقابلة، ومراعاة النّظير، والإرصاد، والمشاكلة، والمزاوجة، والإيهام، والتّوهيم، والاستخدام، والإرداف، واللّف والنّشر، والجمع، ، والتّفريق، والتّقسيم، والتّجريد، والتّفريع، والتّفضيل، وحسن التّعليل، وتأكيد المدح بما يشبه الذمّ وعكسه، والاستتباع، والإدماج، والتّوجيه، وتجاهل العارف، والقول بالموجب، والتّسليم، والمناقضة، والاستدراك، والاستثناء، والاطّراد، والاحتباك، ونفي الشّيء بإيجابه، والكلام الجامع، والمراجعة، والتّرتيب، والتّرقّي، والتّدلّي، والافتنان، والاشتقاق، والاتّفاق، والاكتفاء، والإلغاز، وجمع المؤتلف والمختلف، والاتّساع، والتّفسير، والإيضاح، والاشتراك، وتمهيد الدّليل، والتّصحيف، وحسن البيان، والتّأسيس، والتّفريع، ونفي الموضوع... وغير ذلك مِمّا استخرجه العلماء من بدائع القول ونفائسه.

---

1 ــ قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب أبو الفرج. كان نصرانياً فاسلم على يد المكتفي، وكان أحد البلغاء الفصحاء والفلاسفة وأصحاب المنطق. ومات سنة 337 هـ في أيام المطيع. له من التصانيف: الخراج. نقد الشعر. صابون الغم صرف الهم. جلاء الحزن. دریاق الفكر. السياسة. الرد على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام. حشو حشا الجليس. صناعة الجدل. الرسالة في أبي علي ابن مقلة تعرف بالنجم الثاقب. نزهة القلوب وزاد المسافر. زهر الربع في الأخبار.

2 ــ انظر: السّيوطي ــ معترك الأقران في إعجاز القرآن. 1 / 241

لعلّ من نواتج تلك النّظرة القاصرة، أن تحجّرت البلاغة في جزئيات وقوالب جامدة، لم تثمر سوى القطيعة بين البلاغة العربيّة وبين اللّغة التي هي ماء حياتها، ولم تورّث للنّاشئة من البلاغة سوى نظرة شاحبة مشمئزّة، استقرّت لديهم منذ أن تعارفوا خلال مناهجهم التّعليميّة على ما سمّي لهم (أدب الانحطاط)، و منذ أن لُقّنوا أنّ أكبر عيوب ذلك الأدب إنّما هو إكثار أدبائه من الصّور البيانية كالتّشبيه، والاستعارة، والكناية، و إكثارهم من المحسّنات البديعيّة كالسّجع، والجناس، والتّورية... وغيرها. فما الذي يمنع عنهم تلك النّظرة، ولم يكونوا قد فهموا من البلاغة سوى أنّها الصّور البيانية والمحسّنات البديعيّة ؟ وكيف يتسنّى لَهم، إذا هم نظروا إلى آيات القرآن المجيد، فوجدوها وقد زخرت بضروب البيان والبديع، أن يؤسّسوا الأحكام المناسبة لذلك النّظم المعجز الذي حيّر أرباب الفصاحة و فرسان البلاغة ؟ بل كيف تصمد تلك النّظرة وأمثالها إذا عُلم أنّ بعض العلماء استحسن الإكثار من البديع،

وذلك ما عُرِف عندهم بالإبداع، ففي ((الإتقان)): ((الإبداع بالباء الموحّدة أن يشتمل الكلام على عدّة ضروب من البديع))[1]. وقال ابن أبي الإصبع[2] (1198 هـ): ((ما رأيت في جميع ما استقريت من الكلام المنثور والشعر الموزون كآية كريمة من كتاب الله تعالى: استخرجت منها واحداً وعشرين ضرباً من المحاسن، وهي قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ وَقِيلَ بُعۡداً لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (هود: 54)))[3]. فهذه آية عدة ألفاظها سبع عشرة لفظة ، وقد استخرج منها ابن أبي الإصبع واحدا وعشرين ضرباً من البديع، وهي: المناسبة، والمطابقة، والمجاز، والاستعارة في موضعين، والإشارة، والتّمثيل، والإرداف، والتّعليل، وصحّة التّقسيم، والاحتراس، والإيضاح، والمساواة، وحسن النّسق، وائتلاف اللّفظ مع المعنى، والإيجاز، والتّسهيم، والتّهذيب، وحسن البيان، والتّمكين، والانسجام.

---

1 ــ جلال الدّين السّيوطي ــ الإتقان في علوم القرآن. 2./ 96

2 ــ عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن محمد، الأديب أبو محمد ابن أبي الإصبع العدواني المصري الشاعر المشهور الإمام في الأدب؛ له تصانيف حسنة في الأدب، وشعره رائق، عاش نيفاً وستين سنة، وتوفي بمصر في ثالث وعشرين شوال سنة أربع وخمسين وستمائة.له تصانيف منها: بديع القرآن، تحرير التّحبير، الجواهر السّوانح في سرائر القرائح.

3 ــ ابن أبي الإصبع ــ تحرير التّحبير. ص 718

ولم يكن في الحسبان أن تمتدّ آثار تلك النّظرة لترافق كلّ قراءة تذوّقيّة للنّصوص، بما فيها نصوص القرآن الكريم، ((فقد تحوّلت الظّاهرة الإعجازية في الدّرس البلاغيّ، إلى شواهد وأمثلة تعليميّة، تحصر الجماليّة في شكليّة بديعيّة أو نظميّة مقتطعة من سياقها النّظميّ، الأمر الذي أضرّ بروح التّذوّق، إذ أزاح فنّيّة الأثر القرآني عن مجال رحابتها النّصّيّة، إلى رؤية حدّيّة محصورة))[1].

1 ــ د/ عشراتي سليمان ــ الخطاب القرآني. ص 50

الفصل الثّاني
حقيقة التّجريد

المبحث الأوّل: في مفهوم التّجريد

المبحث الثّاني: شُبه التّجريد

المبحث الثّالث: مذاهب العلماء في التّجريد

المبحث الأوّل:

مفهوم التّجريد

1 ـ المعنى اللّغوي للتّجريد:

التّجريد في اللّغة العربيّة مشتقّ من الجذر (ج ر د) و في ((اللّسان))[1]: الجريد الذي يجرّد عنه الخوص، والواحدة جريدة. ولا يسمّى جريدا ما دام عليه الخوص وإنّما يسمّى سعفا. والجُرادة بالضّمّ: ما قُشّر عن الشّيء. و التّجريد: التّعرية من الثّياب. والتّجرّد: التّعرّي. وتجرّد للأمر: جدّ فيه. وانجرد الثّوب أي انسحق ولان. وجَرَّدَ السّيفَ من غِمْدِهِ: سَلَّهُ. وتجرَّدَتِ السّنبلة وانجَرَدَتْ: خرجت من لفائفها، وكذلك النَّورُ عن أكِمامِهِ. وانجردت الإبِلُ من أَوبارها إذا سقطت عنها. وجَرَّدَ الكتابَ والمصحفَ: عَرَّاه من الضّبط والزّيادات والفواتح؛ ومنه قول عبد الله بن مسعود وقد قرأَ عنده رجل فقال: أَستعيذ بالله من الشيطان الرّجيم، فقال: جَرِّدوا القرآنَ لِيَرْبُوَ فيه صغيركم ولا يَنْأَى عنه كبيركم، ولا تَلبسوا به شيئاً ليس منه؛ قال ابن عيينة: معناه لا تقرنوا به شيئاً من الأَحاديث التي يرويها أَهل الكتاب ليكون وحده مفرداً، كأَنه حثَّهم

على أَن لا يتعلم أَحد منهم شيئاً من كتب الله غيره، لأَن ما خلا القرآن من كتب الله تعالى إنما يؤخذ عن اليهود والنّصارى وهم غير مأْمونين عليها.

وقد نقل علماء العربيّة المعنى اللّعويّ إلى الاصطلاح، فسمّوا به أحد أساليب القول الفصيح. قال ابن الأثير (637 هـ) [2]: ((أصله في وضع اللغة من جرّدت السّيف، إذا نزعته من غمده، وجرّدت فلاناً، إذا نزعت ثيابه ومن ههنا قال "لا مدّ ولا تجريد" وذلك في النّهي عند إقامة الحد أن يُمَدّ صاحبه على الأرض وأن تُجَرّدَ عنه ثيابه، وقد نُقِل هذا المعنى إلى نوع من أنواع علم البيان)) [3].

---

1 ــ ابن منظور ــ لسان العرب. 3./ 115

2 ــ ابن الأثير ضياء الدين أبو الفتح الجَزَرِيّ (580ــ637 هـ). وُلِدَ بالجزيرة، ونشأ بها، وانتقل مع والده إلى الموصل، واشتغل وحصل العلوم وحفظ القرآن وشيئاً من الحديث والنحو واللغة وعلم المعاني والبيانُ، وقصد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، فاستوزره. من مؤلّفاته: المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، الوشي المرقوم في حلّ المنظوم، المعاني المبتدعة، غرّة الصّباح في أوصاف الاصطباح، الأنوار في مدح الفواكه والثّمار...وغيرها.

3 ــ ابن الأثير ــ المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر. 2 / 167

2 ـ استعمالاته :

يسري استعمال التّجريد مُنصرفا من مادّته اللّغويّة إلى كثير من المواقف والوضعيات، وأهل العربيّة يطلقونه على عدّة معان منها[1]:

1 ــ تجريد اللّفظ الدّال على معنى عن بعض معناه، كما جُرّد الإسراء عن معنى اللّيل وأُريد به مطلق الإذهاب لا الإذهاب باللّيل، في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَىٰ ٱلْمَسْجِدِ ٱلأَقْصَى ﴾ (الإسراء:1)، فنتج عنه توكيد للمعنى لم يكن ليحصل لولاه،فالسُّرَى لا يكون إلا باللّيل، وإنّما ذكر ذُكر هنا على سبيل التّوكيد.

2 ــ عطف الخاصّ على العامّ. سمّي به لأنّه كأنّه جُرد المعنى الخاصّ من العامّ وأُفرد بالذّكر تفضيلا، نحو قوله تعالى: ﴿ حَافِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَاتِ وٱلصَّلاَةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ (البقرة: 238)، فحاصل النّظم في هذه الآية كما يقول المفسّرون، أنّ الله تعالى خصّ الصلاة الوسطى من بين الصّلوات بمزيد تأكيد دلالة على فضلها.

3 ــ اصطلاح قي علم القوافي يريد به العروضيون خلوّ البيت من الرّدف والتّأسيس. والقافية المشتملة على التّجريد تسمّى مجرّدة. نحو قول الشّاعر[2]:

وكم ليلة قد بتّها مُعْسِـــرًا وَلِي بِزُخْرُفِ آمَالِي كُنُوزٌ مِنَ اليُسْرِ
أَقُولُ لِقَلْبِي كُلّما اشْتَقْتَ لِلْغِنَى: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ تَبَّتْ يَدُ الفَقْرِ

4 ــ ذكر ما يلائم المستعار له في الكلام، فتسمّى الاستعارة معه بالاستعارة المجرّدة كما في قوله تعالى:﴿ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ ﴾ [3]، حيث قال أذاقها ولم يقل كساها، والمراد بالإذاقة، كما يقول المفسّرون، إصابتهم بما استعير له اللّباس. أي: الجوع والخوف.كأنه قال: فأصابها الله بلباس الجوع والخوف. قال القرطبي: ((سماه لباساً لأنه يظهر عليهم من الهزال وشحوبة اللّون وسوء الحال ما هو كاللبّاس)) [4].

---

1 ــ انظر: محمد علي بن محمد التّهانويّ ــ كشّاف اصطلاحات الفنون ــ 1 / 261 وما يليها

2 ــ هو أبو الحسين الجزّار (ت679 هـ)، والبيتان من قصيدة يمدح فيها فخر القضاة نصر الله بن هبة الله المعروف بابن بصاقة.

3 ــ سورة النّحل. الآية: 112

4 ــ تفسير القرطبي. 10 / 192

5 ــ اصطلاح في علم البديع يسمّى به أحد المحسّنات المعنويّة، وهو ((أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصّفة مبالغة في كمالها فيه. أي لأجل المبالغة في كمال تلك الصّفة في ذلك الأمر ذي الصّفة، حتّى كأنه بلغ من الاتّصاف بتلك الصّفة إلى حيث يصحّ أن ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصّفة))[1].

وللتّجريد استعمالات عديدة أخرى منها:

أ) في فقه الشّريعة الإسلامية؛ يراد به نزع ثياب مرتكب الفاحشة لإقامة الحدّ عليه، إمعانا في إيذائه. قال القرطبيّ: ((اختلف العلماء في تجريد المجلود في الزنى؛ فقال مالك و أبو حنيفة وغيرهما: يجرّد، ويترك على المرأة ما يسترها دون ما يقيها الضرب. وقال الأوزاعِيّ: الإمامُ مخيَّر إن شاء جَرّد وإن شاء ترك. وقال الشَّعْبِيّ والنَّخَعِيّ: لا يجرّد، ولكن يترك عليه قميص. قال ابن مسعود: لا يحل في هذه الأُمّة تجريد ولا مدّ؛ وبه قال الثورِيّ))[2]

ب) التّجريد عند أهل الزّهد و التّصوّف مرتبة قصوى من الاتّحاد والمشاهدة، يخلو فيها قلب المؤمن إلاّ من ذكر الله، وقد قيل: ((التّجريد أن يتجرّد بظاهره عن الأعراض وبباطنه عن الأعواض. و هو أن لا يأخذ من عرَض الدّنيا شيئا، ولا يطلب على ما ترك منها عوضا من عاجل ولا آجل، بل يفعل ذلك لوجوب حقّ الله تعالى لا لعلّة غيره، ولا لسبب سواه))[3]

ج) التّجريد في الفنّ اسم لمدرسة انبثقت عن التّكعيبية، حيث بدأ الفنان يُعرض عن الطبيعة، أو يَعرض أشياءها في قالب جديد مستمد من إحساسه بعيداً عن النقل، ليقرر بـــذلك اتجاهـــا ذهنيا خالصا، فاللّوحة التّجريدية ليست عبارة عن قطعة تصويرية وحسب، بل تصبح هي ذاتها موضوعاً، قيمته في بنائه الدّاخلي، وفي تنظيم عناصره وتماسك أجزائه. والتّجريدية بعد ذلـــك درجات: فعندما يبالغ الفنان بأن يكون العمل خالياً من هيئات ومعالم الأشياء المعروفة، كـــان تجريدياً غير تشخيصيّ، فإذا اعتمد أحيانا الصّورة أو القالب سمّي تشخيصيًّا[4]

---

1 ــ محمد علي بن محمد التّهانويّ ــ كشّاف اصطلاحات الفنون ــ 1 / 262

2 ــ انظر: تفسير القرطبي ــ 12 / 159

3 ــ انظر في ذلك: التّصوّف الإسلامي للدّكتور ألبير نصري نادر. ص 85

4 ــ عن : رمسيس يونان ــ دراسات في الفنّ. ص 161 ، 162 ــ بتصرّف ــ

و من هذه الاستعمالات الكثيرة للتّجريد، تتبدّى أهمّية المعرفة به كأسلوب للتّعبير عن المعاني القائمة في النّفس، والتي هي من الخفاء بالحدّ الذي يجعلها في كثير من الأحيان مُشكَلة عصيّة، لذلك سنخصّه بالبحث، بتفصيل أشكاله التي اطّرد ت في كلام العرب الفصحاء وفي القـــرآن الكريم بعد سرد مذاهب العلماء و أقوالهم فيه، بُغية الاقتراب إلى دلالاتـــه المستتـــــرة وراء الأشكـــال و النّظوم، على أنّنا سنقتصر من تلك الاستعمالات على ما تناقله علماء البلاغـــة العربيّة، وعدّه كثير منهم أحد ألوان الكلام البديع .

المبحث الثّاني:

شُبَهُ التَّجريد

التّجريد من الأساليب العربيّة التي ترد على خلاف مقتضى الظّاهر، ممّا يجعل المسالك فيها دقيقة ، فعلماء العربيّة استوقفهم التّجريد، واختلفوا فيه أحيانا، فمنهم من قال به، ومنهم من عدّه التفاتا، ومنهم من جعله تشبيها، ومنهم من ألحقه بالاستعارة أو الكناية.

1 ـ التّجريد والالتفات[1]:

جاء في ((كشّاف اصطلاحات الفنون)) في الفرق بين التّجريد والالتفات: ((المشهور عند الجمهور أنّ المقصود من الالتفات إرادة معنى واحد في صور متفاوتة. والمقصود من التّجريد المبالغة في كون الشّيء موصوفا بصفة وبلوغه النّهاية فيها، بأن ينتزع منه شيء آخر موصوف بتلك الصّفة، فمبنى الالتفات على ملاحظة اتّحاد المعنى ومبنى التّجريد على اعتبار التّغاير ادّعاء. فكيف يُتصوّر اجتماعهما ؟ نعم، ربما أمكن حمل الكلام على كلّ منهما بدلا عن الآخر. وأمّا أنّهما مقصودان معا فلا))[2]. ويضيف موضّحا: ((إذا عبّر المتكلّم عن نفسه بطريق الخطاب أو الغيبة، فإن لم يكن هناك وصف بقصد المبالغة في اتّصافها به، لم يكن ذلك تجريدا أصلا، وإن كان هناك وصف يحتمل المقام المبالغة فيه، فإن انتزع

1 ــ الالتفات أحد وجوه تحسين الكلام، وهو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر. أي من التّكلّم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها بعد التّعبير بالأوّل. وهو ستّة أقسام: الأوّل من التّكلّم إلى الخطاب نحو﴿ وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (يس: 22) ــ والأصل وإليه أرجع. الثّاني منه إلى الغيبة نحو: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ (الكوثر: 1،2). الثّالث من الخطاب إلى التّكلّم نحو:

طحا بك قلب في الحِسان طروبُ بُعَيْد الشّباب عصر حان مشيبُ

تكلّفني ليلى و قد شطّ وليّها وعادت عواد بيننا وخطوبُ

فالتفت في قوله تكلّفني من قوله بك. الرّابع منه إلى الغيبة نحو: ﴿حتّى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم ﴾ (يونس: 22) والأصل بكم. الخامس من الغيبة إلى الخطاب نحو: ﴿ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاتحة:4 ، 5) السّادس منها إلى التّكلّم نحو: ﴿ الله الذي أرسل الرّياح فتثير سحابا فسقناه ﴾.(فاطر: 9) (شرح عقود الجمان للسّيوطي.ص 28)

2 ــ محمّد عليّ بن محمّد التّهانويّ ــ كشّاف اصطلاحات الفنون. 1 / 264

من نفسه شخصا آخر موصوفا به، فهو تجريد ليس من الالتفات في شيء، وإن لم ينتزع بل قصد مجرّد الافتنان في التّعبير عن نفسه كان التفاتا))[1].

و جاء في ((عروس الأفراح))للسّبكيّ [2] (771هـ) أنّ ((الالتفات نقل الكلام من أسلوب لغيره، وهو نقل معنويّ لا لفظيّ فقط، وشرطه أن يكون الضّمير في المنتقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى الملتفت عنه))[3] . وعنده ((لو قلت: إنّي أخاطبك فأجبِ المخاطِبَ، كنت أعدت الضّمير في المخاطِب، وهو ضمير غيبة على نفسك، وليس ذلك وضعا لضمير الغائب موضع ضمير المتكلّم، بل جرّدت منك مثل نفسك وأمرته بأن يجيبه، فضمير الغيبة واقع موقعه، وكذلك ﴿ وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (يس. الآية: 22) جرّد من نفسه حقيقة مثلها وخاطبها. وفي قوله (طحا بك)* على رأي السّكاكي جرّد من نفسه حقيقة مثلها وخاطبها، فالضّمير واقع في محلّه فهو التفات وتجريد، وعلى رأي غيره هو تجريد فقط.)) [4]. وقال:((قد عُلم ممّا سبق أنّ بينهما عموما وخصوصا من وجه؛ فيوجد التّجريد دون الالتفات كقولك: رأيت منه أسدا و مثل:(تطاول ليلك) ** على رأي الجمهور، والالتفات دون التّجريد نحو: (تكلّفني ليلى)*** ونحو: ﴿ فسقناه﴾****

1 ــ المرجع السّابق. ص 264

2 ــ بهاء الدّين أبو حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السُّبكي الأنصاري الإمام الفقيه المفسر المحدث الأصولي الأديب الشافعي (719 ــ 771هـ).و السُّبكيّ نسبة إلى بلدة (سُبْك) بمحافظة المنوفيّة بمصر. استجاز له والده مشايخ عصره من مصر والشام وسمّعه الكثير، حفظ القرآن وصلى به القيام وعمره تسع سنوات، ثم اشتغل بالفقه والنحو والأصول ، ونظم الشعر وأدرك ست قراءات. صنف(المناقضات) و عمره ست عشرة سنة، وأفتى وعمره عشرون ، ولما تولّى والده قضاء القضاة بالشام ولاه السلطان مناصب والده في التّدريس. من آثاره: شرح مختصر ابن الحاجب، شرح التسهيل لابن مالك، هدية المسافر في المدائح النّبوية، عروس الأفراح...

3 و 4 ــ بهاء الدّين السّبكيّ ــ عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. 1 / 377

(*) أراد به قول الشّاعر علقمة بن عبدة المعروف بعلقمة الفحل الذي ذكره من قبلُ، وهو قولهُ:

طَحَا بكَ قلبٌ في الحِسَان طَرُوبُ بُعَيْدَ الشَّبَاب عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ

تُكَلِّفُنِي لَيْلَى وَقَدْ شَطَّ وَلْيُهَا وَعَادَتْ عَوَادٍ بَيْنَنَا وَخُطُوبُ

(**) أراد قول امرئ القيس: تطاول ليلكَ بالأَثْمُدِ ونام الخلي ولم ترقدِ

(***) أي: من قول علقمة المذكور

(****) من قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ (سورة فاطر. الآية: 9)

والتفات وتجريد نحو: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ (الكوثر:2) و لا واحدا منهما كغالب القرآن))[1]. فالتّجريد لا ينافي الالتفات، وذلك إذا اجتمعا في أسلوب واحد، نحو قول امرئ القيس:

تطاول ليلكَ بالأَثْمُدِ [2] ونام الخلي ولم ترقدِ

وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العاثر الأرمدِ

وذلك من نبأ جاءني وخُبِّرتُه عن أبي الأسود

قال السّكاكي بأنّه التفت في الأبيات الثّلاثة [3]. وقال الخطيب القزويني بعد أن عرض رأي الزّمخشري في الأبيات بأنّها تنطوي على ثلاث التفاتات: ((وأمّا على المشهور فلا التفات في البيت الأوّل)) [4]. فالشّاعر، كما يبدو، انتزع من نفسه شخصا آخر وخاطبه، وهذا لاشبهة في أنّه من التّجريد. أمّا في البيت الثّاني فقد انتقل من خطاب النّفس إلى الإخبار عنها بضمير الغيبة، وهنا الالتفات. ومثل هذا يقال عن البيت الثّالث، حيث انتقل إلى الإخبار بضمير المتكلّم.

2 ـ التّجريد والتّشبيه:

يُجمع البيانيون على أنّ التّشبيه علاقة موازنة تجمع بين طرفين لاتّحادهما أو اشتراكهما في حالة أو صفة أو مجموعة من الحالات أو الصّفات، وسواء أكانت تلك المشابهة بين الطّرفين تقوم على أساس من الحسّ كما في تشبيه الخدّ بالورد، والقدّ بالرّمح، والفيل بالجبل في المبصرات، والصّوت الضّعيف بالهمس في المسموعات، والنّكهة بالعنبر في المشمومات، والرّيق بالخمر في المذوقات، والجلد النّاعم بالحرير في الملموسات...الخ، أو تقوم على أساس من العقل، كما في تشبيه العلم بالحياة، فإنّ العلاقة التي تربط بين المشبّه والمشبّه به

---

1 ــ المرجع السّابق. ص 378

2 ــ الأثُمد: بفتح الهمزة وضمّ الميم، اسم موضع.

3 ــ السّكاكي ــ مفتاح العلوم.ص200

4 ــ جلال الدّين القزويني ــ الإيضاح في علوم البلاغة. ص 114

هي علاقة موازنة لا علاقة اتّحاد أو تفاعل، بحيث يصبح هذا الطّرف ذاك الآخر. يقول قدامة بن جعفر (337 هـ): ((إنّ من الأمور المعلومة أنّ الشّيء لا يُشبَّه بنفسه ولا بغيره من كلّ الجهات، إذ بين الشّيئين إذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغاير البتّة اتّحدا فصار الاثنان واحدا))[1]. بيان هذا أنّنا حين نشبّه الخدّ بالورد مثلا، فإنّنا لا نريد به اتّحاد الورد مع الخدّ في كلّ الصّفات المادّية اتّحادا تامّا، وإنّما لأنّهما متشابِهان فقط، فالتّشبيه حينئذ لا يفيد العينية، أي أن يتداخل طرفاه حتّى يصيرا شيئا واحدا، بل يبقى المشبّه غير المشبّه به، ويظلّ هذا غير ذاك. وقد كان الجاحظ أوّل من لاحظ هذه الفكرة، فقدّر أنّ التّشبيه لا يلغي الحدود بين الطّرفين بل يظلّ محافظا على تغايرهما، يقول: ((فقد يكون في الشّيءِ بعضُ الشّبه مِنْ شيء ولا يكون ذلك مُخرِجاً لهما من أحكامِهما وحدودِهما... وقد يشبّه الشّعراء والعلماء والبلغاء الإنسان بالقمر والشّمس، والغيثِ والبحر، وبالأسد والسيف، وبالحيَّة وبالنَّجم، ولا يخرجونه بهذه المعاني إلى حدِّ الإنسان))[2].

ورغم وضوح المنطلق في التّشبيه إلاّ أنّ مسالكه تدقّ، حتّى لتَخفى أو تشتبه بغيرها، كما هو الشّأن مع التّجريد. قال السّكاكي (626 هـ) وهو يذكر أحكاما متفرّقة للتّشبيه: ((وإذا عرفت أنّ وجود طرفي التّشبيه يَمْنَعُ عن حَمْل الكلام على غير التّشبيه، عرفت أنّ فقْدَ كلمة

التّشبيه لا تؤثّر إلاّ في الظّاهر، وعرفت أنّ نحو: رأيت بفلان أسدا، ولقيني منه أسد، وهو أسد في صورة إنسان، وإذا نظرت إليه لم تر إلاّ أسدا، وإن رأيته عرفت جبهة الأسد، ولئن لقيته ليلقينّك منه الأسد، وإن أردت أسدا فعليك بفلان، وإنّما هو أسد، وليس هو آدميا إنّما هو أسد...كلّ ذلك تشبيهات، لا فرق إلاّ في شأن المبالغة))[3].

---

1 ــ قدامة بن جعفر ــ نقد الشّعر. ص 122

2 ــ الجاحظ ــ الحيوان ــ 1 / 211

3 ــ السّكاكي ــ مفتاح العلوم. ص 354

ويبدو من كلامه أنّه عدّ التّجريد ضربا من التّشبيه حُذفت منه الأداة. وبذلك اختلفت صورته في ظاهرها عمّا لو ذُكرت معه الأداة. وأمّا الغرض الذي جيء بالتّشبيه لأجله، فصار إلى شيء من المبالغة والقوّة، ما كانت لتحصل لو ذُكرت الأداة. و الذي يدعو إلى هذا الاعتبار ــ في نظره ــ إنّما هو وجود طرفي التّشبيه، أمّا الأداة فمسألة شكلية فقط، ورودها وعدمه سيان.

وذهب ضياء الدّين ابن الأثير (637 هـ) إلى مثل هذا الرّأي أيضا عندما تناول بالنّقد كلام أبي عليّ الفارسيّ [1] (377 هـ) فقال: ((وأمّا الأوّل وهو قوله: لئن لقيت فلانا لتلقينّ به الأسد، ولئن سألته لتسألنّ منه البحر، فإنّ هذا تشبيه مضمر الأداة، إذ يحسن تقدير أداة التّشبيه فيه))[2]. وردّ بعض الدّارسين هذا الرّأي بأنّ ((أساليب التّشبيه يكون الحكم فيها بإثبات المشابهة، وأسلوب التّجريد ليس كذلك))[3]

بناء على ما تقدّم، فحين نقول: إذا أصغيتَ لزيدٍ أصغيتَ منه لعالم، وإن صحبتَه صحبتَ به أخا، وإن جئتَه وجدتَ فيه بحرا من الكرم، فإنّنا لا نريد بالعالِم، ولا الأخِ، ولا بالبحرِ سوى زيدٍ ذاته، فلا يعقل أن يبنى ذلك على المشابهة أو اعتبار التّغاير بالظّرفية ونحوها.

وتعرّض الشّيخ البابرتيّ [4] (637 هـ) في شرحه ((تلخيص المفتاح)) لهذه المسألة، فرجّح رأي الخطيب القزويني من أنّ أسلوب التّجريد ليس شكلا من أشكال التّشبيه، قال: ((وأمّا التّشبيه الذي على وجه التّجريد، وهو أن يكون المشبّه فيه مذكورا أو مقدّرا،

---

1 ــ أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحوي (288 ــ 377هـ)؛ ولد بمدينة فسا واشتغل ببغداد.كان إمام وقته في علم النحو، ودار البلاد، وأقام بحلب عند سيف الدولة بن حمدان مدة، وقد جرت بينه وبين أبي الطيب المتنبي مجالس، ثمّ انتقل إلى بلاد فارس وصحب عضد الدولة ابن بويه وتقدم عنده وعلت منزلته، وصنف له كتاب الإيضاح، والتكملة في النحو.ومن تصانيفه الأخرى: التذكرة، المقصور والممدود، الحجة في القراءات، الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني، العوامل المائة... وغيرها.

2 ــ ابن الأثير ــ المثل السّائر. 2 / 168

3 ــ عبد المنعم خفاجة ــ محقّق ((الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني)) بهامش الصّفحة 58

4 ــ محمد بن محمود بن أحمد البابرتي الشيخ أكمل الدين الحنفي ويقال محمد بن محمد بن محمود . أخذ عن أبي حيان وعن الشيخ شمس الدين الأصبهاني .كان فاضلاً صاحب فنون وافر العقل ويقال أنه كان يعتقد مذهب الوحدة. ذكر ذلك عنه ابن خلدون وصنف النقود والردود شرحاً لمختصر ابن الحاجب وشرح عقيدة النصير الطوسي وشرح مشارق الأنوار للصغاني وشرح تلخيص المفتاح للقزويني. مات سنة 786 و قد جاوز السبعين.

أو اسم المشبّه به الذي هو اسم له لا بحسب الادّعاء مستعمل فيه، و لا يكون خبرا ولا في حكم الخبر وحذف منه أداة التّشبيه كقولهم: رأيت من فلان أسدا ولقيني منه أسد ففيه خلاف. ذهب صاحب ((المفتاح)) إلى أنّه تشبيه واختار المصنّف أنّه لا يسمّى تشبيها، قال لأنّ اسم المشبّه به لم يجلب فيه لإثبات التّشبيه كما في قولك: جاءني أسد، و رأيت أسدا، فإنّ الكلام موضوع لإثبات المجيء واقعا من الأسد والرّؤية واقعة منك عليه، لا لإثبات معنى الأسد لشيء فلم يكن ذِكْرُ المشبّه به لإثبات التّشبيه، وصار قصد التّشبيه مضمرا لا يُعلم إلاّ بعد الرّجوع لشيء من النّظر)) [1].

3 ـ التّجريد والاستعارة:

قد يشتبه التّجريد بالاستعارة، وذلك كلّما أُخذت علاقة المنتزع بالمنتزع منه على أنّها مُتأتّاة من طريق المشابهة. ولعلّ ذلك ما جعل عبد القاهر الجرجاني يقول: ((فإن قلتَ: فما تقول في نحو قولهم: لقيت به أسدا ورأيت منه ليثا؟ فإنّه ممّا لا وجه لتسميته استعارة، ألا تراهم قالوا: لئن لقيتَ فلانا ليلقينّك منه الأسد، فأتوا به معرفة على حدّه إذا قالوا : احذر الأسد،

وقد جاء على هذه الطّريقة ما لا يُتصوّر فيه التّشبيه فيُظنّ أنّه استعارة، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ﴾ (فصّلت: 28)، والمعنى ــ والله أعلم ــ أنّ النّار هي دار الخلد، وأنت تعلم أن لا معنى ههنا لأن يُقال: إنّ النّار شُبّهت بدار الخُلد، إذ ليس المعنى على تشبيه النّار بشيء يُسمّى دار الخلد، كما تقول في زيد: إنّه مثل الأسد. ثمّ تقول: هو الأسد، وإنّما هو كقولك: النّار منزلهم ومسكنهم، نعوذ بالله منها. وكذا قوله:

*يأبى الظّلامةَ منه النّوفلُ الزُّفَرُ *[2]

---

1 ــ أكمل الدّين البابرتي ــ شرح التّلخيص. ص 470

2 ــ صدره: ((أخو رغائب يعطيها ويمنعها)). يُروى لأعشى باهلة عامر بن الحارث بن عوف، ويروى للدّعجاء الباهلية ابنة المنتشر، ويروى لليلى بنت وهب الباهلية أخت المنتشر. النّوفل: الرّجل المعطاء. الزّفر: الشّجاع.

المعنى على أنّه النّوفل الزّفر. وليس النّوفل الزّفر باسم لجنس غير جنس الممدوح كالأسد، فيقال: إنّه شبّه الممدوح به، وإنّما هو صفة كقولك: هو الشّجاع وهو السّيّد وهو النّهّاض بأعباء السّيادة))[1].

ومُحَصّل كلام عبد القاهر أنّ مثل تلك الأساليب لا يجوز بأيّة حال أن تُصْرَفَ إلى الاستعارة لأنّ المشبّه به فيما يسمّى استعارة لابدّ أن يُجرَى على المشبّه بوجه من وجوه الإجراء المتعارف عليها، كأن يكون خبرا عنه أو صفة له أوحالا... وأمّا تلك الأساليب فليس فيها شيء من ذلك، ممّا يمنع صرفها إليها. يقول الجرجاني في بيان ذلك: ((وإنّما يُتصوّر الحكم على الاسم بالاستعارة إذا جرى بوجه على ما يُدّعى أنّه مستعار له. والاسم في قولك: لقيت به أسدا، ولقيني منه أسد، لا يُتصوّر جريه على المذكور بوجه، لأنّه ليس بِخَبَرٍ عنه ولا صفة له ولا حال، وإنّما هو بنفسه مفعول لقيت وفاعل لقيني، ولو جاز أن يجري الاسم ههنا مجرى الاستعارة المتناولة المستعار له لوجب أن يقول في قوله[2]:

حَتّى إِذَا جَنّ الظّلامُ وَ اخْتَلَطْ جاؤوا بِمَذْقٍ(*) هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطْ

إنّه استعار اسم الذّئب للمذق، وذلك بيّن الفساد)) [3]

لقد وضع الإمام الجرجاني بهذا الفهم الأصل الفاصل بين ما هو استعارة وما هو من أسلوب، ومثّل لذلك بكلام العرب الفصحاء، وعاب على القائلين بخلافه فساد أذواقهم وعقولهم. قال : ((ونحو قوله [4]:

نُبِّئْتُ أنّ أبا قَابُوسَ أَوْعَدَني ولا قَرَارَ على زَأْرٍ من الأَسَدِ

لا يكون استعارة، وإن كنت تجد من يفهم البيت قد يقول: أراد بالأسد النُّعمان، أو شبَّهه بالأسد، لأن ذلك بيانٌ للغَرَض، فأمَّا القضيةُ الصحيحةُ وما يَقَع في نفس العارف، ويوجِبُه نقد الصَّيْرَف، فإنّ الأسد واقع على حقيقته حتى كأنه قال: ولا قَرَار على زَأْر هذا الأسد،

---

1 ــ عبد القاهر الجرجاني ــ أسرار البلاغة. ص 240

2 ــ لم ينسب أحد من الرّواة هذا البيت إلى قائله. (*) ــ المذق:اللّبن الممزوج بالماء.

3 ــ عبد القاهر الجرجاني ــ أسرار البلاغة. ص 241

4 ــ هو النّابغة الذّبياني، واسمه زياد بن معاوية. أحد بني سعد بن ذبيان، ويكنّى أبا أمامة، وهو شاعر جاهليّ في الطّبقة الأولى المقدّمين على سائر الشّعراء. (ديوان الحماسة. شرح العلاّمة التّبريزي. 2 / 326)

وأشار إلى الأسد خارجاً من عَرِينه مُهدِّداً مُوعداً بزئيره، وأيُّ وجْهٍ للشكِّ في ذلك، وهو يؤدّي إلى أن يكون الكلام على حدّ قولك: ولا قَرَار على زَأْرِ مَن هُو كالأسد. وفيه من العِيِّ والفَجَاجة شيءٌ غير قليل)) [1].

ويضيف : ((هذا ومن حقّ غالطٍ غَلِطَ في نحو ما ذكرتُ – على قلَّة عُذْرِه – أن لا يغلط في قول الفرزدق[2]:

قِيَاماً يَنْظُرون إلى سَعيدٍ كأنَّهُمُ يَرَون به هلالاَ

ولا يُتَوَهَّم أن هلالاً استعارة لسعيد، لأن الحكم على الاسم بالاستعارة مع وجود التشبيه الصريح، محالٌ جارٍ مجرى أن يكون كُلّ اسم دخل عليه كافُ التشبيه مستعاراً، وإذا لم يغلط في هذا فالباقي بمنزلته فاعرفه)) [3]

ولا يسوغ كذلك اعتبار أسلوب التّجريد استعارة بالكناية، فيُحكم على لفظة (زَيْدٌ) في مثل قولهم: ((لقيت من زيد أسدا)) بأنّها هي المشبّه، و على لفظة (أسد) بأنّها القرينة، فالقصد من هذا التّركيب وما يكون على منواله، ألاّ تشبيه بين المُنتزع والمنتزع منه، وكلّ ما في الأمر أنّ المنتزع قد يعبّر عنه بلفظه الحقيقيّ كقولنا : لقيت من زيد رجلا شجاعا، وقد يعبّر

عته بلفظه المجازي كما في قولنا: لقيت مِنْ زيدٍ أسدًا, فإذا حصل أنّ الرّجل الشّجاع هو نفسه زيد، كذلك لا يُشكّ أنّ الأسد هو غير زيد. وإذاً فأسلوب التّجريد، إن وُجدت فيه الاستعارة، فإنّما تكون في خصوص لفظ المنتزع.

وخلاصة القول أن أسلوب التّجريد ليس بتشبيه ولا استعارة، إنّما هو من الأساليب العربيّة الضّاربة بجذورها في سليقة العربيّ وطبعه في تأدية المعاني القائمة في نفسه، يُجرّد بوساطته الشّيء من الشّيء، وينتزعه حتّى يبدو المنتزع غير المنتزع منه، لكنّهما في اعتباره شيء واحد لا تُجلّيه الأشكال العادية للتّشبيه أو الاستعارة أو الكناية.

---

1 ــ عبد القاهر الجرجاني ــ أسرار البلاغة. ص 241

2 ــ الفرزدق لقبه وكنيته أبو فراس واسمه همّام بن غالب بن صعصعة. ينتهي نسبه إلى زيد بن مناة بن تميم وهو والأخطل وجرير في الطّبقة الأولى من الشّعراء الإسلاميّين. (ديوان الحماسة لأبي تمّام. 1 / 277)

3 ــ عبد القاهر الجرجاني ــ أسرار البلاغة. ص 241

المبحث الثّالث:

مذاهب العلماء في التّجريد

التّجريد من الأساليب العربيّة القديمة[1]، فقد قال الأعشى[2] وهو يتحدّث عن نفسه:

يا خير من يركب المطيّ لا يشرب كأسا بكفّ من بخلا [3]

وقال:

ودّع هُرَيرة إنّ الرّكب مرتحل وهل تُطيق وداعا أيّها الرّجل[4]

و أشار سيبويه[5] (161 هـ) إلى هذا الأسلوب في ((باب ما يُختار فيه الرّفع ويكون فيه الوجه في جميع اللّغات)) فقال: ((ولو قال: أمّا أبوك فلك أب)) لكان على قوله: ((فلك به أب)) أو ((فيه أب)) وإنّما يريد بقوله ((فيه أب)) مجرى الأب على سعة الكلام))[6]. وهذا هو التّجريد بالباء ولكنّ سيبويه لم يسمّه، بل عرضه بوصفه أسلوبا عربيّا فصيحا.

وتناول أبو العبّاس المبرّد [7] (285 هـ) في كتابه ((الكامل)) هذا النّوع من الأساليب العربيّة بعد أن سكت عنه العلماء قرنا كاملا، فذكر للتّجريد أمثلة تردّدت في كتب البلاغيّين المتأخّرين، ففي قول الأعشى:

يا خير من يركب المطيّ ولا يشرب كأسا بكفّ من بخلا

---

1 ــ أحمد مطلوب ــ معجم المصطلحات البلاغية. ص 258

2 ــ هو هو أعشى باهلة أبو قحفان عامر بن الحَرث بن رياح بن أبي خالد بن ربيعة بن زيد بن عمرو بن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن. شاعر جاهلي مجيد.

3 ــ ديوان الأعشى. ص 171

4 ــ المصدر نفسه. ص 144

5 ــ يكنى أبا بشر واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن خالد بن مالك بن أدد. وسيبويه بالفارسية رائحة التفاح .أخذ النحو عن الخليل و يونس وعيسى بن عمر وغيرهم وأخذ اللغات عن أبي الخطاب الأخفش وغيره. ومصنّفه (الكتاب) فتح رائد في علوم العربيّة لم يسبقه ولم يلحق به إلى مثله أحد.

6 ــ سيبويه ــ الكتاب. 1 / 195

7 ــ محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري أبو العباس المبرد إمام العربية ببغداذ في زمانه، أخذ عن المازني وأبي حاتم السجستاني وغيرهما، وروى عنه إسماعيل الصفار وإبراهيم بن نفطويه ومحمد بن يحيى الصولي وجماعة، وكان فصيحاً بليغاً مفوهاً ثقة صاحب ظرافة، له تصانيف مشهورة منها الكامل والمقتضب والروضة، وتوفي سنة 285 هـ.

يقول: ((إنّما تشرب بكفّك ولست ببخيل...))[1] ففي هذا التّجريد كناية عن الكرم.

و يقول المبرّد حول قول الشّاعر :

أخو رغائب يُعطيها ويسألها يأبى الظُّلامةَ منه النّوفلُ الزُّفَرُ

((وإنّما يريده بعينه، أي هو نفسه النّوفل والزّفر. والنّوفل: ذو الفضل، و النّوافل و الزّفر: حمّال الأثقال، كقولك: لئن لقيت فلانا ليلقينّك منه الأسد))[2]. فلا شكّ أن أبا العبّاس المبرّد قد انتفع في باب التّجريد بِما تركه سيبويه، فأيقظ الحديث عنه بعدما أغفله سابقوه ومعاصروه من العلماء كالفرّاء (207 هـ) وابن قتيبة (276 هـ) وغيرهما.

وكان أبو عليّ الفارسيّ (377 هـ) من أوائل الذين تعرّضوا له وهو الذي سمّاه تجريدا. وقد ذكر ذلك السّابقون فقال ابن جنّي[3] (392 هـ): ((اعلم أنّ هذا فصل من فصول العربيّة طريف حسن، ورأيت أبا عليّ ــ رحمه الله ــ به غريّا معنيّا، ولم يُفرد له باباً ولكنّه وسمه في بعض ألفاظه بهذه السّمة فاستقريتها منه وأنِقت لها. ومعناه أنّ العرب قد تعتقد أنّ في الشّيء من نفسه معنى آخر كأنّه حقيقته ومحصوله وقد يجري ذلك إلى ألفاظها وذلك نحو قولهم: ((لئن لقيتَ زيدا لتلقينّ منه الأسد)) و ((لئن سألته لتسألنّ به البحر)) فظاهر هذا أنّ فيه من

نفسه أسدا وبحرا هو عينه الأسد والبحر لا أنّ هناك شيئا منفصلا عنه وممتازا منه. وعلى هذا يخاطب الإنسان منهم نفسه حتّى كأنّها تقابله أو تخاطبه)) [4].

---

1 ــ المبرّد ــ الكامل في اللّغة والأدب. 1 / 76

2 ــ المصدر نفسه. 1 / 57

3 ــ أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي المشهور؛ قرأ الأدب على أبي علي الفارسي. من تصانيفه: الخصائص، سر الصناعة، المنصف في شرح تصريف أبي عثمان المازني، التلقين في النحو، التعاقب، الكافي في شرح القوافي، المذكر والمؤنث، المقصور والممدود، التمام في شرح شعر الهذليين، المنهج في اشتقاق أسماء شعراء الحماسة، شرح ديوان المتنبّي، المسائل الخاطريات، التذكرة الأصبهانية، مختار تذكرة أبي علي الفارسي، اللّمع، المهذّب، التبصرة...وغيرها.

4 ــ ابن جنّي ــ الخصائص. 2 / 473 ، 474

وعقد الزّجاج (311 هـ) [1] في كتابه ((إعراب القرآن)) بابا للتّجريد[2]، أعاد فيه كلام ابن جنّي بحذافيره محافظا على آراء الفارسي ، ولم يزد عليه سوى بعض الأمثلة القرآنية.

وأخرجه عبد القاهر الجرجاني (471 هـ) من الاستعارة، حيث قال في معنى الآية الكريمة: ﴿ لهم فيها دار الخلد ﴾ (فصّلت: 28): ((والمعنى، والله أعلم، أنّ النّار هي دار الخلد. وأنت تعلم أن لا معنى ههنا لأن يقال إنّ النّار شُبّهت بدار الخلد، إذ ليس المعنى على تشبيه النّار بشيء يسمّى دار الخلد كما تقول في زيد: إنّه مثل الأسد.ثمّ تقول: هو الأسد، وإنّما هو كقولك: النّار مترلهم ومسكنهم)) [3]

و نقل ابن الأثير في ((المثل السّائر)) بعض كلام الفارسيّ حول التّجريد وردّ بعضه حيث قال: ((وأمّا الذي ذكره أبو عليّ الفارسيّ ــ رحمه الله ــ فإنّه قال: إنّ العرب تعتقد أنّ في الإنسان معنى كامنا فيه كأنّه حقيقته ومحصوله، فتُخْرِجُ ذلك المعنى إلى ألفاظها مجرّدا من الإنسان كأنّه غيره وهو هو بعينه، نحو قولهم: لئن لقيت فلانا لتلقينّ به الأسد، ولئن سألته لتسألنّ منه البحر ، وهو عينه الأسد والبحر، لا أنّ هناك شيئا منفصلا عنه أو متميّزا منه . ثمّ قال: وعلى هذا النّمط كون الإنسان يخاطب نفسه حتّى كأنّه يقاول غيره،كما قال الأعشى ((وهل تُطيق

وداعا أيّها الرّجل)) وهو الرّجل نفسه لا غيره. هذا خلاصة ما ذكره أبو عليّ ــ رحمه الله ــ والذي عندي فيه أنّه أصاب في الثّاني ولم يُصب في الأوّل، لأنّ الثّاني هو التّجريد، ألا ترى أنّ الأعشى جرّد الخطاب عن نفسه وهو يريدها؟ وأمّا الأوّل وهو قوله ((لئن لقيت فلانا لتلقينّ به الأسد، ولئن سألته لتسألنّ منه البحر)) فإنّ هذا تشبيه مضمر الأداة، إذ يحسن تقدير أداة التّشبيه فيه))[4].

---

1 ــ هو إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج النحوي، توفي سنة إحدى عشرة وثلاث مائة وهو أستاذ أبي علي الفارسي. من تصانيفه: المؤاخذات على الفصيح لثعلب، كتاب الاشتقاق، كتاب القوافي، كتاب العروض، كتاب الفرق، كتاب خلق الإنسان، كتاب خلق الفرس، كتاب مختصر في النحو، كتاب فعلت وأفعلت، كتاب ما ينصرف وما لا ينصرف، كتاب شرح أبيات سيبويه، كتاب النوادر، كتاب معاني القرآن وكتاب ما فسر من جامع المنطق كتاب الأنواء...وغيرها.

2 ــ الزّجّاج.ــ إعراب القرآن. ص 279 ، 280

3 ــ عبد القاهر الجرجاني ــ أسرار البلاغة. ص240

4 ــ ابن الأثير ــ المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر. 2 / 167 ، 168

و ردّ ابن أبي الحديد [1] (655 هـــ) هذا الرّأي قائلا: ((إنّ الحدّ الذي حدّ به هذا الرّجل التّجريد لم يأت فيه نصّ من كتاب الله، ولا ورد عن رسول الله، وإنّما هو حدّ اختاره هو وفسّر التّجريد به، فإنّه حجر على أبي عليّ ــ رحمه الله ــ أن يجعل التّجريد شيئا آخر. ومعلوم أنّ هذه الاصطلاحات والمواصفات موكولة إلى آراء العقلاء واختياراتهم، فأبو عليّ ــ رحمه الله ــ قد اختار أن يسمّي قولهم: ((إذا سألت زيدا سألت البحر)) تجريدا، وقد شرح ذلك و أوضحه بقوله إنّ ظاهر هذه اللّفظة أنّ المسؤول غير زيد، أنّ ألفاظها تقتضي ذلك. ألا ترى أنّك تقول: صحبت زيدا، فاقتبست منه العلم و قتلت فلانا فأخذت منه السّلَب. فيقتضي ظاهره بأنّ العلم غير المصحوب، لوأنّ السّلَب غير المقتول، فهكذا يقتضي ظاهر قوله ((سألته فسألت منه البحر)) أنّ البحر غيره.فأبو عليّ ــ رحمه الله ــ سمّاه تجريدا وهو غير مانع لك من اصطلاحك، ولا مُشاحٍّ لك في حدّك الذي ذكرته للتّجريد، فكذلك أنت لا تجور ولا تضايقه في اصطلاحه وتجريده))[2].

وردّ ابن أبي الحديد أقوال ابن الأثير الأخرى منتصرا للفارسيّ. وكان ابن الأثير قد قال إنّ التّجريد ((إخلاص الخطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك لا المخاطب نفسَه))[3]. وقسّم

التّجريد قسمين ؛ سمّى الأوّل منهما (التّجريد المحض) وهو أن تأتي بكلام هو خطاب لغـــيرك وأنت تريد به نفسك، كقول الشّاعر حيصَ بيصَ[4] :

إلامَ يَرَاكَ المجدُ في زِيِّ شاعِـــــرٍ وَقَدْ نَحلَتْ شَوْقاً فُرُوعُ المَنابِرِ
كَتَمْتَ بعَيْبِ الشِّعْرِ حِلْماً وَحِكْمَةً بِبَعْضِهِمَا يَنْقَادُ صَعْبُ المَفاخِرِ
أَمَا وَأَبِيكَ الـــخَيْـــرِ إنّكَ فارِسُ الـــمَقَالِ وَ مُحْـــيِ الدَّارِسَاتِ الغَوابِرِ
وَ إنَّكَ أَعْيَيْتَ الـــمَسَامِعِ وَالنُّهَـــى بِقَوْلِكَ عَمَّا في بُطُونِ الدَّفَاتِرِ

---

1 ــ عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن أبي الحديد، عز الدين المدائني المعتزلي الفقيه الشاعر (586 ــ 655 هـ)، معدود في أعيان الشعراء، وله ديوان مشهور، من تصانيفه الفلك الدائر على المثل السائر صنفه في ثلاثة عشر يوماً.

2 ــ ابن أبي الحديد ــ الفلك الدّائر على المثل السّائر.. ص 220

3 ــ ابن الأثير ــ المثل السّائر. 2 / 168 ، 169

4 ــ الحيص بيص (492 – 574 هـ) هو سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمي أبو الفوارس.شاعر مشـــهور مـــن أهل بغداد كان يلقب بأبي الفوارس نشأ فقيهاً وغلب عليه الأدب والشعر وكان يلبس زي أمراء البادية ويتقلد سيفاً ولا ينطق بغير العربية الفصحى.وتوفي ببغداد عن اثنين وثمانين عاماً.

وعدّ هذا من محاسن التّجريد ((لأنّ الشّاعر أجرى الخطاب إلى غيره وهو يريد نفســـه،كي يتمكن من ذِكْرِ ما ذَكَرَهُ من الصّفات الفائقة، وعَدِّ ما عَدَّهُ من الفضائل التائهة)) [1].

وسمّى الثّاني (التّجريد غير المحض) أو (نصف التّجريد)، معتبرا النّفس والبدن ، وإن كان بينهما فرق، فكأنّهما شيء واحد [2]. وعليه فهذا القسم لم يتمحّض فيه الانتزاع كما في الأوّل، لأنّ من يخاطب نفسه لم يُجرّد به عن نفسه شيئاً. كقول عمرو بن الإطنابة [3] :

أقول لها وقد جشأت وجاشت مكانك تُحمدي أو تستريحي

وكذلك قول الآخر:

أقول للنّفس تأســـاء وتعـــزية إحـــدى يديّ أصابتـــني ولَمْ تُرِدِ
كلاهما خلف من فقد صاحبـــه هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي[4]

وليس في هذا ما يصلح أن يكون خطاباً لغيرك كالأول، وإنما المخاطب هو المخاطـــب بعينـــه، وليس ثمّ شيء خارج عنه .

والمُلاحظ أنّ ابن الأثير قد بالغ في تشقيق التّجريد إلى حدّ جعل آراءه لا تثبت أمام ميـــزان العقل والمنطق أحيانا، وذلك ما دفع بأحد الدّارسين إلى استغرابِ تلك الآراء والسّخرية منها،

حيث قال: ((ولا ندري ما الذي منعه (يقصد ابن الأثير) من ذِكر بقيّة الأقسام من رُبع التّجريد وثُمنه وعُشره إلى ما شاء الله وما لم يشأ)) [5].

وبنفس تقسيم ابن الأثير للتّجريد، أخذ يحي بن حمزة العلوي (749 هـ) ، وذلك في كتابه الموسوم ((الطّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز))، فسمّى التّجريد المحض تجريدا محقّقاً، وغير المحض نصف تجريد. قال في التّجريد المحض: ((هو أن تأتي بكلام يكون ظاهره

---

1 و 2 ــ ابن الأثير ــ المثل السّائر. 2 / 169

3 ــ هو عمرو بن عامر بن زيد مناة، الكعبي الخزرجي. شاعر جاهلي فارس. كان أشرف الخزرج. اشتهر بنسبته إلى أمه (الإطنابة) بنت شهاب، من بني القين.وفي الرواة من يعدّه من ملوك العرب في الجاهلية. كانت إقامته بالمدينة. وكان على رأس الخزرج في حرب لها مع الأوس. قال معاوية: لقد وضعت رجلي في الركاب يوم صفين وهممت بالفرار فما منعني إلا قول ابن الإطنابة: أبت لي عفتي وأبي إبائي وأخذي الحمد بالثمن الربيح

4 ــ هذان البيتان ممّا قيل في الحلم ، تمثّل بهما الأحنف بن قيس وقد قتل ابنَه أخوه ، وجيء إليه بالقاتل موثقا، فألقى السّيف وأنشد البيتين. ذكر ذلك النّويري في نهاية الأرب. 6 / 51

5 ــ عبد القادر حسن ــ أثر النّحاة في البحث البلاغي. ص 334

خطابا لغيرك، وأنت تريده خطابا لنفسك، فتكون قد جرّدت الخطاب عن نفسك وأخلصته لغيرك، فلهذا بكون تجريدا مُحقّقاً))[1]، ومثّل له بأبيات الشّاعر حيص بيص التي مطلعها:

إلام يراك المجد في زيّ شاعر وقد نحلت شوقا فروع المنابر

وتابع ابن الأثير فاعتبر هذا النّوع من أحسن التّجريد. قال معقّبا على الأبيات المذكورة: ((فهذا وما شاكله من أحسن ما يوجد في التّجريد، ألا تراه في جميع هذه الخطابات ظاهرها يُشعِرُ بأنّه يخاطب غيره، والغرض خطاب نفسه، وهذا هو السّرُّ واللُّبابُ في التّجريد))[2].

أمّا التّجريد غير المحض عنده، فهو خطاب للنّفس لا غير ((و إنّما قيل له تجريد لأنّ نفس الإنسان لّما كانت منفصلة عن هذه الأبعاض والأوصال، صارت كأنّها منفصلة عنها))[3] وهو بهذا قد خالف ابن الأثير، وانتصر لرأي الفارسيّ الذي يتأسّس على أنّ الإنسان حقيقة ليست عبارة عن هذه الصّورة المُدركة من الأبعاض والأوصال، إنّما هو أمر وراء ذلك.

بناء على ذلك ردّ يحي بن حمزة مآخذ ابن الأثير على أبي عليّ الفارسيّ، وكان قد عاب عليه قوله إنّ العرب تعتقد أنّ في الإنسان معنى كامنا فيه ، فتعتقد أنّه أمر خارج عن الإنسان فتخاطبه بالخطاب والغرض غيره، ووجّه الخطأ عليه من وجهين؛ الوجه الأوّل أنّه قال: إنّ

حقيقة الإنسان معنى كامن فيه، هو حقيقته، ولا وجه لذلك، فإنّ المعقول من صفة الإنسان هو هذه البنية المشار إليها من غير تخصيص هناك فيها،فردّه يحي بن حمزة بقوله : ((وهذا فاسد، فإنّ الحقّ ما قاله الفارسيّ كما حكيناه عن أهل الإسلام، والمعتزلة وغيرهم، وعن الفلاسفة من أنّ حقيقة الإنسان هي أمر حاصل فيه، ولم يُنكره ابن الأثير إلاّ أنّه قليل الخُلطة بالمباحث الكلامية والعلوم العقلية، ولو اطّلع على مقالة العقلاء من المسلمين والفلاسفة، واضطراب أقوالهم فيها، لم يُنكر على الفارسيّ هذه المقالة، ولتحقّق يقينا لا شكّ فيه أنّ في الزّوايا خبايا، وأنّ في الخبايا خفايا)) [4].

---

1 و 2 ــ يحي بن حمزة العلويّ ــ الطّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. 3 / 41

3 ــ المصدر نفسه. 3 / 41

4 ــ المصدر نفسه. 3 / 43

و ردّ أيضا ما أخذه ابن الأثير على الفارسيّ من أنّه أدخل في التّجريد ما ليس منه، فقال: ((وهذا فاسد أيضا، فإنّه إذا تحقّق ما قلناه من أنّ حقيقة الإنسان أمر مخالف لهذه البنية المُدرَكة المحسوسة عُقِلَ التّجريد، وكأنّها هي المُخاطبة بالخطابات، والمراد غيرها كما قلناه في التّجريد المُحقّق من أنّ الخطاب موجّه إلى غيرك، وأنت في الحقيقة تريد به نفسك))[1]

وذكر النّويري[2] (733هـ) في ((نهاية الأرب)) أسلوب التّجريد في جملة الوجوه الكثيرة التي تبدي قوّة الطّبع وجودة القريحة واستقامة الذّهن[3]، لكنّه لم يزد على آراء القدامى شيئا، ولم يورد فيه من كلام العرب أو من القرآن و الحديث مثالا واحدا فوق ما ذكروا.

وقال عنه القزويني (739هـ): ((التّجريد هو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه))[4]، وذكر أنّه أقسام، لكنّه لم يبيّنها، واكتفى بأمثلة من كلام العرب ومن القرآن الكريم. ويتّضح من تلك الأمثلة أنّ أقسام التّجريد التي عناها هي أنّه يكون بالباء، و بـ((مِنْ))، وبمخاطبة الغير والمقصود النّفس، وبانتزاع شيء من شيء.

وسمّى ابن قيّم الجوزية [5] (751 هـ) التّجريد المحض ((خطاب الغير))، وقال: ((الأوّل خطاب الغير والمراد به المتكلّم وهو أولى باسم التّجريد)). وسمّى غير المحض ((خطاب المتكلّم لنفسه))[6].

1 ــ المصدر السّابق. 3 / 43

2 ــ هو أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الكريم شهاب الدين النويري (نسبة إلى نويرة من قرى بني سويف بمصر) (677 ــ 733 هـ) سمع على الشريف موسى بن علي بن أبي طالب و يعقوب بن أحمد وأحمد الحجّار وزينب بنت منجا وقاضي القضاة ابن جماعة وغيرهم. كتب البخاري مراتٍ. وجمع تاريخاً كبيراً في ثلاثين مجلداً ، حصل له قربٌ من السلطان الملك الناصر محمد ووكله في بعض أموره وباشر نظر الجيش بطرابلس ونظر الديوان بالدقهلية والمرتاحية. من أشهر ما كتب: نهاية الأرب قي فنون الأدب، وهو أشبه بدائرة معارف لما وصل إليه علم العرب في عصره.

3 ــ النّويري ــ نهاية الأرب في فنون الأدب. 7 / 156 ، 157

4 ــ جلال الدّين القزويني ــ تلخيص المفتاح. ص 118 و كذلك في الإيضاح. ص 545

5 ــ هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حرير الزرعي العلاّمة شمس الدين الحنبلي المعروف بابن قيم الجورية (691 ــ 751 هـ). أخذ العلم عن كثير من العلماء منهم أبو الفتح البعلي و إسماعيل بن محمد الحران و تقي الدين ابن تيمية وإسماعيل بن محمد... وغيرهم. من كبار العلماء في التفسير والحديث والأصول و الفروع والعربية. من تصانيفه: زاد المعاد في هدى دين العباد ، تهذيب سنن أبي داود، سفر الهجرتين ، كتاب رفع اليدين في الصلاة، معالم الموقعين عن رب العالمين، كتاب الكافية الشافية لانتصار الفرقة الناجية، الرسالة الحلبية في الطريقة المحمدية، الفوائد... وغيرها.

6 ــ ابن قيّم الجوزية ــ الفوائد. ص167

وشرحه بهاء الدّين السّبْكِي في ((عروس الأفراح)) ضمن أنواع البديع، وذكر أنّ التّجريد أقسام[1] منها أن لا يُقصد تشبيه الشّيء بغيره؛ ويكون بـ (من) نحو قولهم: لي من فلان صديق حميم. أو بالباء نحو قوله[2]:

وشوهاء تعدو بي إلى صارخ الوغى بمستلئم مثل الفنيق المرحّلِ

أو بـ (في) نحو قوله تعالى: ﴿ لهم فيها دار الخلد ﴾ (فصّلت: 28)، أو بغير حرف كقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾ (الرّحمن: 37)، وكقول الحماسيّ [3]:

فلئن بقيت لأرحلنّ بغزوة تحوي الغنائم أو يموت كريمُ

ومنها أن يُقصد تشبيه الشّيء بغيره؛ ويكون بالباء كقولهم: لئن سألت فلاناً لتسألنَّ به البحرَ، أو يكون بـ(من) أو بـ (في) نحو: رأيت من فلان البحرَ ، أو رأيت فيه البحرَ.

وقال الإمام الزّركشي[4] ((التّجريد هو أن تعتقد أنّ في الشّيء من نفسه معنى آخر كأنّه مباين له فتخرج ذلك إلى ألفاظه بما اعتقدت ذلك، كقولهم: لئن لقيت زيدا لتلفينّ معه الأسد، ولئن سألته لتسألنّ منه البحر. فظاهر هذا أنّ فيه من نفسه أسدا وبحرا وهو عينه هو الأسد والبحر، لا أنّ هناك شيئا منفصلا عنه))[5]. فقد زاد على ما ذكر السّابقون من أدوات التّجريد (مع) التّجريدية، وكانوا قد خصّصوا حصول معنى التّجريد بالباء أو (مِن) أو (في)

أو بغير أداة في حالة خطاب النّفس. فقوله: ((لئن لقيت زيدا لتلفينّ معه الأسد)) لا يعني أن تلقاه وأسدا على المعيّة، بل على أن زيدا والأسد شيء واحد.

---

1 ــ انظر: بهاء الدين السّبكي ــ عروس الأفراح في تلخيص المفتاح. 4 / 356 – 357

2 ــ هو حسّان بن ثابت الأنصاري شاعر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم

3 ــ هو الشّاعر قتادة بن مسلمة الحنفيّ.

4 ــ محمد بن بَهادُر بن عبد الله الزركشي, أبو عبد الله, بدر الدين: عالم بفقه الشافعية والأصول. تركي الأصل, مصري المولد والوفاة. له تصانيف كثيرة في فنون عدة , منها: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة علىَ الصحابة ، لقطة العجلان, البحر المحيط, إعلام الساجد بأحكام المساجد، الديباج في توضيح المنهاج فقه, المنثور أو قواعد الزركشي, التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح ، ربيع الغزلان، عقود الجمان, ذيل وفيات الأعيان، البرهان... وغيرها.

5 ــ الزّركشيّ ــ البرهان في علوم القرآن. 2 / 448

وذكره الحافظ جلال الدّين السّيوطي(911 هـ)، ولم يخرج فيه عمّا ذكره السّابقون فقال: ((التّجريد هو أن يُنتزع من أمر ذي صفة آخر مثله مبالغة في كمالها فيه))[1].وزاد في ((شرح عقود الجمان)) على ما ذكره في ((الإتقان)) وقي ((معترك الأقران)) أنّ التّجريد قسمان [2]: الأوّل هو أن ينتزع من أمر ذي صفة آخر مثله مبالغة في كمالِها، نحو: لي من فلان صديق حميمٌ . جرّد من الرّجل الصّديق آخر مثله متّصفا بصفة الصّداقة. ونحو: مررت بالرّجل الكريم والنّسمة المباركة. جرّدوا من الرّجل الكريم آخر مثله متّصفا بصفة البركة وعطفوه عليه كأنّه غيره وهو هو. ومنه قوله صلّى الله عليه وسلّم ((إياك ومحقّرات الذّنوب فإنّ لها من الله طالبا))[3]، وهذا القسم تارة يجيء على وجه الكناية كالمثال الأوّل، ويكون التّجريد فيه بـ (من) و (الباء) و (في)، وتارة على وجه التّشبيه ويكون بالباء، وبِـ (مِن)، و بِـ (في) كقولك: إن سألت أحمدَ لتسألنّ به البحر. جرّد منه البحر تشبيها له به. وقوله:

وبي ظبية أدماء ناعمة الصّبا تغار الظّباء الغيد من لفتاتها

أعانق غصن البان من لين قدّها وأجني جنيّ الورد من وجناتها

جرّد من قدّها غصنا ومن ووجنتها وردا بعد التّشبيه. وتقول: رأيت من فلان البحر، وتارة يخلو منهما فيكون بدون حرف كمثال الرّجل الكريم والنّسمة المباركة، وبـ (في) نحو: ﴿ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ﴾ (فصّلت: 28) فإنّها هي دار الخلد لكن انتزع منها مثلها وجعل دار الخلد تمويلا.

أمّا القسم الثّاني عنده فهو أن تجرّد نفسك فتخاطبها كأنّها غيرك وذلك لِنُكَتٍ، منها قصد النّفع لها كقوله [4]:

أقول لها وقد جشأت وجاشت مكانك تُحمدي أو تستريحي

---

1 ــ جلال الدّين السّيوطي. الإتقان في علوم القرآن. 2 / 90

2 ــ جلال الدّين السّيوطي. شرح عقود الجمان. ص 121

3 ــ رواه النّسائي وابن ماجة من حديث عائشة.

4 ــ هو عمرو بن الإطنابة، وقد سبق تعريفه.

لمّا أراد أن يُوطِّن نفسه على احتمال المكروه جرّدها مخاطبا لها ناصحا. ومنها قصد التّوبيخ كقول امرئ القيس:

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بالأَثْمُدِ وَنَامَ الخَلِيُّ ولَمْ ترقُدِ[1]

خاطب نفسه على جهة التّجريد موبّخا لها فإنّ نفسه نفس ملك فكان من حقّها الصّبر وعدم الجزع. ومنها التّعريض بآخر كقوله [2]:

تبكي على لبنى وأنت تركتها وكنت عليها بالملا أنت أقدر

ومنها قصد التّحريض كقول أبي الطّيب:

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النّطق إن لم تسعد الحال

جرّد نفسه وخاطبها على جهة التّحريض على مدح الممدوح.

ويتبيّن من آراء العلماء ومذاهبهم، أنّها وإن توزّعت بين إثبات التّجريد ونفيه، فإنّها لم تُغن فلسفة المصطلح، باستثناء ما نضحت به من إفرازات علم الكلام، نحو ما يلمس في قول ابن جنّي: ((وقد دعا تردّد هذا الموضع على الأسماع، ومحادثته الأفهام أن ذهب قوم إلى أنّ الإنسان هو معنى ملتبس بهذا الهيكل الذي يراه ملاق له، وهذا الظّاهر مماسّ لذلك الباطن،

كل جزء منه منطو عليه ومحيط به »[3] ونحو قول صاحب « الطّراز » في بيان التّجريد غير المحض: « وإنّما قيل له تجريد لأنّ نفس الإنسان لَمّا كانت منفصلة عن هذه الأبعاض والأوصال، صارت كأنّها منفصلة عنها فلهذا سمّي تجريدا »[4]. ومن جهة ثانية، فقد كان أكثر تلك الآراء متواترا مكرورا، متناولا نفس الأمثلة من القرآن ومن كلام العرب، بل و انصرف بعضها في مواقف المناقشة عن التّعمّق في جوهر الموضوع إلى تفنيد آراء غيره، كما كان شأن ابن الأثير مع ابن أبي الحديد مثلا.

---

1 ــ ديوان امرئ القيس. ص 32

2 ــ هو قيس بن ذريح بن سنة بن حذافة الكناني ؟ – 68 هـ / ؟ – 687 م .شاعر من العشاق المتيمين، اشتهر بحب لبنى بنت الحباب الكعبية، وهو من شعراء العصر الأموي، ومن سكان المدينة. كان رضيعاً للحسين بن علي بن أبي طالب، أرضعته أم قيس، وأخباره مع لبنى كثيرة جداً، وشعره عالي الطبقة في التشبيب ووصف الشوق والحنين.

3 ــ ابن جنّي ــ الخصائص. ص 473

4 ــ يحي بن حمزة العلويّ ــ الطّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. 3 / 41

.

أقسام التّجريد:

التّجريد، كما فسّره العلماء في كلام العرب، أقسام منها:

1 ــ أن يكون بـــ(من) التّجريدية، كقولهم: لي من فلان صديق حميم. أي بلغ فلان من الصّداقة حدّا صحّ معه، أي مع ذلك الحدّ أن يستخلص منه صديق آخر مثله في الصّداقة.

2 ــ أن يكون بالباء التّجريدية الدّاخلة على المنتزع منه.نحو قولهم: لئن سألت فلانا لتسألنّ به البحر. أي بالغ في اتّصافه بالسّماحة حتّى انتزع منه بحرا في السّماحة.ذلك البحر هو هو نفسه. وسمّى ابن فارس (390 هـ) هذه الباء بالباء الدالّة عن نفس المُخبّر عنه والظاهر أنها لغيره، وقال: « قولك: لقيت بفلان كريماً، إنّما أردته هو نفسه. ومنه قوله:

* وَلَمْ يَشْهَدِ الْهَيْجَا بِأَلْوَثَ مُعْصِمِ *[1]

أراد نفسه »[2].

وزعم بعضهم أنّ (مِنْ) التّجريدية و الباء التّجريدية على حذف مضاف، فمعنى قولهم :لقيت من زيد أسدا، لقيت بلقائه أسدا. ولا يخفى ضعف هذا التّقدير في مثل قولنا: لي من فلان صديق حميم، لفوات المبالغة في تقدير (حصل لي من حصوله صديق).

3 ــ أن يكون بباء المعيّة والمصاحبة في المنتزع، كقول الشّاعر[3]:

وشوهاء تعدو بي إلى صارخ الوغى بمستلئم مثل الفتيق المرحّل

والمعنى: تعدو بي ومعي من نفسي لابس درع لكمال استعدادي للحرب. بالغ في اتّصافه بالاستعداد للحرب حتّى انتزع منه مستعدّا آخر لابس درع.

4 ــ أن يكون بدخول (في) في المنتزع منه كقوله تعالى ﴿ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ﴾ (فصّلت:28) أي في جهنّم، وهي دار الخلد لكنّه انتزع منها دارا أخرى، وجعلها مُعدّة في جهنّم لأجل الكفّار، تهويلا لأمرها، ومبالغة في اتّصافها بالشّدّة.

---

1 ــ البيت للطّفيل الغنوي، وصدره: ((إذا ما غَدا لَم يُسقِطِ الخَوفُ رُمحَهُ))

2 ــ ابن فارس ــ الصّاحبيّ في فقه اللّغة. ص47

3 ــ هو حسّان بن ثابت الأنصاري. المراد بالشّوهاء فرس قبيح الوجه لما أصابها من شدائد الحرب. وتعدو أي تسرع. صارخ الوغى: أي مستغيث الحرب. والمستلئم: لابس الدّرع. والباء للملابسة. والفتيق: الفحل المكرم عند أهله والمرحّل: من رحل البعير أشخصه من مكانه وأرسله..

5 ــ أن يكون بدون توسّط حرف كقول قتادة [1]:

فلئن بقيت لأرحلنّ لغزوة نحو الغنائم أو يموت كريم

أي: إلاّ أن يموت كريم، يعني بالكريم نفسه، فكأنّه انتزع من نفسه كريما مبالغة في كرمه، ولذا لم يقل: أو أموت. وقيل: تقديره أو يموت منّي كريم، كما قال ابن جنّي في قوله تعالى: ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ (مريم:6) عند من قرأ بذلك أنّه أريد: يرثني منه وارث من آل يعقوب. وهو الوارث نفسه، فكأنّه جرّد منه وارثا. وقد رأى بعضهم أنّه ((لا حاجة إلى التّقدير لحصول التّجريد بدونه)) [2].

6 ــ أن يكون بطريق الكناية نحو قول الأعشى:

يا خير من يركب المطيّ ولا يشرب كأسا بكفّ من بخلا

أي يشرب الكأس بكفّ جواد، فقد انتزع من الممدوح جوادا يشرب هو الكأس بكفّه على طريق الكناية، لأنّه إذا نفى عته الشّرب بكفّ البخيل فقد أثبت له الشّرب بكفّ الكريم.

7 ــ أن يكون بمخاطبة الإنسان نفسه، فهو ينتزع فيها من نفسه شخصا آخر مثله في الصّفة التي سيق لها الكلام ثمّ يخاطبه نحو قول المتنبّي:

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النّطق إن لم يسعد الحال

والمراد بالحال الغنى. فكأنّه انتزع من نفسه شخصا آخر مثله في فقد الحال والمال والخيل.

و يتّضح بعد هذا أنّ العلماء حصروا أسلوب التّجريد في كلام العرب ضمن أشكال معدودات، يمكن إرجاعها كلّها إلى نوعين اثنين هما: التّجريد بالحرف و التّجريد من غير حرف. أو التّجريد بالأداة، و التّجريد المجرّد. وهو ما يعني ــ في رأينا ــ أنّهم قد حدّوا من تجريدية هذا الأسلوب ذي القدرة على استيعاب الكثير من المواقف والحالات.

---

1 ــ قتادة بن مسلمة الحنفيّ من بني حنيفة بن لجيم ومسكنهم باليمامة. شاعر جاهليّ وسيّد كريم. لقّب بغيث الضّريك. أي الفقير. وضرب به المثل في الكرم. (ديوان الجماسة لأبي تمّام ــ 1 / 319)

2 ــ محمّد عليّ بن محمّد التّهانويّ ــ كشّاف اصطلاحات الفنون. 1 / 263

و إذا تأمّلنا هذين النّوعين في لسان العرب الذي نزل به القرآن المجيد، ومن خلال شروح العلماء وتفصيلاتهم، أيقنّا بثراء اللّغة العربيّة و غَنائِها بالأساليب التي تُؤدَّى بها المعاني المختلفة، و تُمكّن المتكلّم من التزام ما اصطلح على تسميته مراعاة مقتضى الحال. هذا من زاوية، ومن زاوية أخرى، فإنّا نرى أنّ ذينك النّوعين من التّجريد، إذا جاز أن يُقتصر عليهما، قاصِرَان عن استيفاء جميع المعاني التي تتجشّمها النّفس.

إنّ قصرهم التّجريد بالأداة على ثلاثة أحرف جارّة يعني أنّهم لم يضيفوا إلى رأي « سيبويه » شيئا غير التّسمية . وهنا يثور تساؤل مِلحاحٌ هو كيف يتحقّق انتزاع الشّيء من الشّيء قصد المبالغة بوساطة ثلاثة أحرف فقط؟ وهل معنى ذلك أنّ المبالغة المحقّقة بتلك الأحرف لا تتأتّى بغيرها من ثروة العربيّة كالبدل، أو التّوكيد، أو التّمييز، أو غير ذلك ؟

وفيما يتعلّق بما سمّيناه التّجريد المجرّد، فإنّ العلماء ذكروا منه مخاطبة النّفس، وهذا الجانب يقود للتّساؤل أيضا. فإذا كان القصد من التّجريد هو المبالغة. أي المبالغة في أنّ المنتزع قد

ضاهى المنتزع منه في الصّفة المنتزع لها ، فإنّه لا يسوغ أن تحصل مثل تلك المبالغة فقط مع خطاب الفرد لنفسه، ولا تحصل مع الإخبار عنها، كما في قول الخنساء[1] :

تبكي لصخرٍ هي العبرَى وقد عبرتْ ودونهُ من ترابِ الأرضِ أستارُ

تبكي خُناس فما تنفكّ ما عمرت لَها عليه رنين وهي مِفتار

تبكي خُناس على صخر وحُقّ لها إذ رابها الدهر إن الدهر ضرار

ألا ترى أنّها إنّما تتحدّث عن نفسها بصيغة الإخبار (تبكي ، هي العبرى، قد عبرت، تبكي خُناس، ما تنفكّ لها عليه رنين ...) كأنّ نفسها نفس منقصلة عنها؟ فأيّ فرق إذاً بين الانتزاعين: انتزاع نفس من النّفس ومخاطبتها، وانتزاع نفس من النّفس والإخبار عنها ؟

---

1 ــ هي الخنساء ? – 24 هـ / ? – 644 م تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد السُلمية من بني سُليم من قيس عيلان من مضر. أشهر شواعر العرب وأشعرهن على الإطلاق، من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي، وأدركت الإسلام فأسلمت. ووفدت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مع قومها بني سليم. فكان رسول الله يستنشدها ويعجبه شعرها، فكانت تنشد وهو يقول: هيه يا خنساء. أكثر شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها صخر ومعاوية وكانا قد قتلا في الجاهلية. لها ديوان شعر فيه ما بقي محفوظاً من شعرها. وكان لها أربعة بنين شهدوا حرب القادسية فجعلت تحرضهم على الثبات حتى استشهدوا جميعاً فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم.

2 ــ ديوان الخنساء. ص 47

التّجريد بين المضمون المنطقيّ والمضمون النّفسيّ:

من الثّابت أنّ اللّغات لا تجري جميعها على نفس الكيفية في تأليف الألفاظ أو تركيبها للتّعبير عن معنى من المعاني أو دلالة من الدّلالات. فلكلّ لغة طريقتها أو طرقها في نظم الكلام. هذه الحقيقة يدركها المهتمّون بشؤون التّرجمة بشكل جليّ؛ فمثلا في اللّغة العربيّة يُؤتى بالموصوف أوّلا، ثمّ يُتبع بالصّفة كما في عبارة (أخته الصّغرى) على سبيل المثال، لكنّ عقلية الفرنسي أو الألماني عندما تريد التّعبير عن نفس الفكرة لا تتصوّر الكلمة الدّالّة على الأخت أوّلا، بل تتصوّر الكلمة الدّالّة على الصّفة قبل ذلك، فقد يستعمل الفرنسيّ للتّعبير عنها تركيب sa petite soeure ويقول الألماني: seine kleine schwester فهذان تركيبان متشابهان، حيث استند كلّ منهما إلى المضاف إليه أوّلا، أي : sa وseine ثمّ الصّفة: petite و kleine وأخيرا أتى كلّ منهما بالموصوف soeure و schwester

وإذا كان هذا الطّرح يصدّق مقولة «ج. فندريس » :(نحن نفكّر بجمل)[1] فإنّ علماء اللّغة يكاد إجماعهم يعقد على أوليّة المضمون المنطقيّ للكلام على صيغته اللّفظية، فقد رأينا عبد القاهر الجرجاني (471 هـ) يؤكّد في أكثر من موضع على أنّ ترتيب المعاني في النّفس لايستدعي استئناف فكر آخر في ترتيب الألفاظ، وأنّ العلم بمواقع المعاني في النّفس هو علم بمواقع الألفاظ الدّالّة عليها في النّطق[2]، على أنّه « لا ينبغي أن يحمل ما ورد في كلام عبد القاهر من ذكر النّفس مع المعاني في مثل قوله: (ترتيب المعاني في النّفس) وما شاكل ذلك على النّفس بالمعنى السّيكولوجي، فالنّفس تطلق ويراد بها العقل، واللّفظان يتعاقبان في كلامه، فهو كما يقول: ترتيب المعاني في النّفس يقول أيضا: ليس الغرض بنظم الكلام أن تتوالى ألفاظه في النّطق بل أن تتناسق دلالة الألفاظ وتتلاقى معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل، وهو نظير قول ابن سينا في (الكلّيّ) إنّه المعنى الذي المفهوم منه في النّفس، وفي (المفهوم) إنّه الذي حصل في العقل »[3].

---

1 ــ نقلا عن دكتور محمود السّعران في كتابه: علم اللّغة. ص 224

2 ــ عبد القاهر الجرجاني ــ دلائل الإعجاز. ص 88

3 ــ لطفي عبد البديع ــ التّركيب اللّغوي للأدب . ص 5

استنادا إلى ما سبق، فإنّ التّجريد، وقبل كونه تركيبا لفظيا، فهو شيء في فكر المتكلّم، وتجربة لا يفصح عنها سواها، فيه يتمّ الانتقال من المعنى المفهومي إلى المعنى الإيحائي، أو الوجداني انتقالا مغايرا لصور الانتقال المألوفة كالتّشبيه والاستعارة والكناية... وغيرها. أو هو نظير ما يدعوه علماء الدّلالة « السّياق العاطفي أو الانفعالي » الذي « يرتبط بدرجة قوّة الانفعال المصاحبة للأداء الفعلي للكلام من حيث ما يقتضيه الكلام من تأكيد أو مبالغة أو اعتدال »[1].

على ذلك فالتّجريد باعتباره انتقالا في الدّلالة، يمكن أن يؤتى من هذا المنطلق. أي بالنّظر إلى السّياق، على نحو ما قرأ به بعض المحقّقين قوله تعالى: ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾[2]، فقد ذكر الشّيخ محمد الأمين الشّنقيطي[3] أنّ للعلماء ثلاثة أوجه في معنى هذه الآية الكريمة [4]؛ اثنان لا إشكال في الآية عليهما، والثّالث هو الذي فيه الإشكال المذكور.

فأمّا اللّذان لا إشكال في الآية عليهما، فالأول أنّ معنى ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ أي أمّ رأسه هاوية في قعر جهنّم؛ لأنه يطرح فيها منكوسا، وروي هذا القول عن قتادة وأبي صالح وعكرمة والكلبي وغيرهم، وعلى هذا القول فالضّمير في قوله: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴾ [5] عائد إلى محذوف دلّ عليه المقام، أي أم رأسه هاوية في نارٍ وما أدراك ما هيه نارٌ حامية.

والثّاني: أنه من قول العرب إذا دعَوا على الرّجل بالهلكة قالوا: هوت أمه. لأنّه إذا هوى أي سقط وهلك فقد هوت أمه ثكلا وحزنا، ومن هذا المعنى قول كعب بن سعد الغنوي[6]:

هوت أمه ما يبعث الصّبــح غاديــا وماذا يرد اللّيــل حيــن يــؤوب

---

1 ــ د / أحمد حساني ــ مباحث في اللّسانيات. ص 156

2 ــ سورة القارعة. الآية: 9

3 ــ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي(1381 هـ) مفسر، مدرّس من علماء شنقيط (موريتانيا). من كتبه: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، منع جواز المجاز ، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، آداب البحث والمناظرة ، ألفية في المنطق، له نظم في أنساب العرب، و رجز في فروع المذهب المالكي و نظم في الفرائض ومذكرة أصول الفقه.

4 ــ محمد الأمين الشنقيطي ــ دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب.19 www .iu.edu.sa/magazine/adad

5 ــ سورة القارعة. الآية:10

6 ــ هو كعب بن سعد بن عمرو الغنوي، من بني غني من قيس بن عيلان. ؟ – 5 ق. هـ / ؟ – 617 م شاعر مخضرم مجيد من أهل الطبقة الثانية وشعره يحتج به عند أهل اللغة.

وهذا القول رواية أخرى عن قتادة، وعلى هذا القول فالضّمير في قوله: ﴿ هِيَهْ ﴾ للدّاهية التي دلّ عليها الكلام، وذكر الألوسي في تفسيره أن صاحب « الكشف » قال: إنّ هذا القول أحسن, وأن الطيبي قال: إنه أظهر, وقال هو: وللبحث فيه مجال.

و الثالث الذي فيه إشكال: أنّ معنى ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ أي مأواه الذي يحيط به ويضمّه هاوية وهي النار؛ لأن الأمّ تؤوي ولدها وتضمّه، والنار تضمّ هذا العاصي وتكون مأواه.

و الجواب على هذا القول هو ما أشار له الألوسي في تفسيره من أنه نكّر الهاوية في محلّ التعريف لأجل الإشعار بخروجها عن المعهود للتّفخيم والتّهويل, ثم بعد إبهامها لهذه النّكتة قرّرها بوصفها الهائل بقوله ﴿ وَمَآ أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ [1].

ثمّ قال الشّيخ الشّنقيطي: « قال مقيده عفا الله عنه: هذا الجواب الذي ذكره الألوسي يدخل في حد نوع من أنواع البديع المعنوي يسمّيه علماء البلاغة التجريد » فسياق الموقف المهول

في الآية الكريمة يوحي أنّ الله تعالى كأنّما اشتقّ من نار جهنّم نارا أخرى مثلها، وسماها أُمًّا، لأن داخلها، والعياذ بالله، يأوي إليها كما يأوي إلى أمه. وفي ذلك من تهويل الموقف، و من التّرهيب به ما لا يخفى على ذي علم بأنحاء التّخاطب العربيّ.

رُبَّما يقول قائل إنّ الدّعوة إلى عدم حصر التّجريد في صيغة لفظية محدّدة، قد يفتح البـــاب أمام إمكانية الأحكام الانطباعية. ولكنّ مثل هذا الموقف يجد الرّدّ عليه فيما أكّده علم اللّغـــة الحديث من أنّ اللّغة ((نسق أو نظام من العلامات الدّالّة التي تغطّي مجالا أرحب من المفـــاهيم التي ترتدّ إلى الخبرة الإنسانية)) [2]، و مقتضى هذا أنّ اللّغة لا يمكن البتّة أن تختزل في أشـــكال جاهزة و دلالات محددة جامدة، بل إنّها تحتوي دوما إضافات عاجلة، و هي منفتحة دائما على تحولات للمعاني. و بعبارة أوضح، فهي يمكن أن تنتج خطابا فريدا غير مألوف، متميزا وجديدا وذلك باستعمال وسائل معروفة ومعهودة، وهذا عين ما يحدث في التّجريد.

---

1 ــ سورة القارعة. الآيتان: 10 ، 11

2 ــ نقلا عن الدّكتور أحمد حساني ــ مباحث في اللّسانيات. ص 137

الفصل الثّالث
أشكال التّجريد و دلالاته في القرآن الكريم

المبحث الأوّل: أشكال التّجريد في القرآن الكريم.

المبحث الثّاني: دلالات التّجريد في الخطاب القرآني.

المبحث الأوّل:

أشكال التّجريد في القرآن الكريم

تقدّم أنّ التّجريد من الأساليب الشّائعة في لغة العرب الفصحاء. تلك اللّغة الـــتي أجلاها القرآن الكريم وجلاّها على أتمّ وجه وأنقاه. وقد اطّردت في النّظم القرآنيّ أشكال هذا الأسلوب العربيّ التي ذكرناها من قبل، فمنه ما ورد بالأداة، ومنه ما جاء بغير أداة أو واسطة، وكانت أمثلته في كتاب الله من الكثرة ما يجعل حصرها ممتنعا. و تجدر الملاحظة أنّ من تلـــك الأمثلة ما يتحقّق في ظلّ بعض القراءات دون غيرها. و سنمثّل في هذا المبحث لكـــلّ منـــها،

مستهدين بمذاهب العلماء من القرّاء والمفسّرين والبلاغيّين، وهذا بأمل الاقتراب مـــن دلالات النّموذج التّجريدي في لغة الوحي.

أوّلا: التّجريد بالأداة:

التّجريد بالأداة كثير في أسلوب القرآن الكريم ، و أوضح أشكاله هي:

ـــ التّجريد بـــ (في).

ـــ التّجريد بـــ (مِن).

ـــ التّجريد بالباء.

أ ـــ التّجريد بـــ (في)؛ و يكون بدخول (في) على المنتزع منه، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَٱخْتِلاَفِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي ٱلأَلْبَابِ ﴾ [1].حيث انتزع من تلك الآيات مثلها لبيان قوّة إيجائها بقدرة الله تعالى وعظمته، وما تلك الآيات المُنتزعَة إلاّ عين الآيات المّنتزعة منها. وقد قال الإمام الزّركشيّ عند هذه الآية: ((فظاهر هذا أنّ في العالَم من نفسه آيات، وهو عينه ونفسه تلك الآيات))[2].

---

1 ـــ سورة آل عمران. الآية: 190

2 ـــ الزّركشي ـــ البرهان في علوم القرآن. 2 / 448.

وممّا جاء على هذا النّسق قوله تعالى في بيان ما يستحقّ جاحدون آياتـــه مـــن جـــزاء: ﴿ ذَلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الخُلْدِ جَزَآءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُون ﴾[1]، ففي تفسير الإمام ابن جرير الطّبريّ [2] ((أنّ اللّه تعالى ذِكْرُه يقول: هذا الجزاء الذي يجزى به هؤلاء الذين كفروا من مشركي قريش جزاء أعداء الله، ثم ابتدأ جلّ ثناؤه الخبر عن صـــفة ذلـــك الجزاء، وما هو؟ فقال: هو النار، فالنار بيان عن الجزاء، وترجـــمة عنه، وهي مرفوعة بـــالردّ عليه ثم قال: لَهُمْ فِيهَا دَارُ الخُلْدِ، يعني لهؤلاء المشركين بالله في النار دار الخلد، يعني دار المَكْث واللّبْث، إلى غير نهاية ولا أمد، والدار التي أخبر جلّ ثناؤه أنها لهم في النار هي النار، وحَسُـــنَ ذلك لاختلاف اللّفظين، كما يقال: لك من بلدتك دار صالحة، ومن الكوفة داركريمة، والدّار: هي الكوفة والبلدة، فيَحْسُنُ ذلك لاختلاف الألفاظ. وقد ذُكر لنا أنها في قراءة ابن مســـعود ((ذَلِكَ جَزَاءُ أعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ دَارُ الخُلْدِ)) ففي ذلك تصحيح ما قلنا من التأويل في ذلك))[3].

وقد ذهب أكثر المفسّرين إلى مثل هذا الرّأي، ففي ((تفسير التّحرير والتّنوير)) مثلا، يقول الشّيخ محمّد الطّاهر بن عاشور: ((والإشارة بـــ ((ذلك جزاء أعـــداء الله)) إلى مـــا تقـــدّم وهو الجزاء والعذاب الشّديد على أسوأ أعمالهم. وأعداء الله: هم المشركون الـــذين تقـــدّم ذكرهم بقوله تعالى ((ويوم نحشر أعداء الله)). والنّار عطف بيان من ((جزاء أعـــداء الله)). و ((دار الخلد)): النّار. فقوله ﴿ لهم فيها دار الخلد ﴾ جاء بالظّرفية بتنزيل النّار منزلة ظرف لدار الخُلْد وما دار الخُلد إلاّ عين النّار.وهذا من أسلوب التّجريد ليفيد مبالغة معـــنى الخُلـــد في النّار. وهو معدود من المحسّنات البديعية)) [4]

---

1 ــ سورة فصّلت. الآية:28

2 ــ الإمام الطبري (224 ــ310 هـــ) هو محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري وقيل يزيد بن كـــثير بـــن غالـــب صاحب التفسير الكبير والتاريخ والشهير، كان إماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلـــك، وله مصنفات مليحة في فنون عديدة وكان من الأئمّة المجتهدين لم يقلد أحدا، وكان ابن جرير ثقة في نقله. وقـــال ابـــن خلّكان عن تاريخ الطّبري أنه أصحّ التواريخ.(ترجمته في الوفيات ، وفي معجم البلدان

3 ــ ابن جرير الطّبري ــ جامع البيان في تفسير القرآن . 24 / 72

4 ــ محمّد الطّاهر بن عاشور ــ تفسير التّحرير والتّنوير. 24 / 279 ، 280

وقال الإمام الزّركشي بخصوص الآية ذاتها: ((وقوله ﴿ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ﴾ ليس المعـــنى أنّ الجنّة فيها دار خلد وغير دار خلد؛ بل كلّها دار خلد ؛ فكأنّك لّما قلت: في الجنّة دار الخلد اعتقدت أنّ الجنّة منطوية على دار نعيم ودار أكل وشرب وخُلد، فجرّدت منها هذا الواحد، كقوله:

* وفي الله إن لم تُنصفوا حَكَمٌ عدْلُ *))[1]

و قد تبعه السّيوطي في هذا التّفسير [2] الذي نرجّح أنّه قراءة للخطاب اللاّمنطوق في الآية.

ومن الأمثلة التي جاء التّجريد فيها بـــ (في) أيضا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[3]، فقد ذكر ذلك صاحب ((التّحرير والتّنوير))[4] عند تفسيره قول الله تعالى: ﴿ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ﴾ (فصّلت:28).

و على هذا الهدي يمكن أن نقرأ كثيرا من الآيات التي وردت نفس النّسق مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَٱخْتِلاَفِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِيَاحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلأَرْضِ لآيَاتٍ لقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [5]، فقد دلّ ظاهر النّظم في هذه الآية الكريمة أنّ في كلّ من خلق السّماوات والأرض، وتعاقب اللّيل والنّهار، وتسخير البحر لمنافع النّاس، و إحياء الأرض بماء السّماء، وتعدّد أشكال الدّوابّ واختلاف ألوانها، وتقليب الرّياح وتسخيرها، وتذليل السّحاب بأمر الله تعالى، في كلّ من ذلك آيات للمتدبّرين، وهي نفسها آيات على وحدانية الله وقدرته لا يعيها إلاّ المتدبّرون الخاشعون. ومثل ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيۤ إِبْرٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ ﴾ [6] قال الألوسي: ((الأسوة بضم الهمزة وكسرها وهما لغتان،

---

1 ــ الزّركشيّ ــ البرهان في علوم القرآن. 2 / 448.

2 ــ انظر ذلك في ((الإتقان)) 2 / 90 ، وفي ((معترك الأقران)) 1 / 254

3 ــ سورة ق. الآية:37

4 ــ محمّد الطّاهر بن عاشور ــ تفسير التّحرير والتّنوير. 24 / 280

5 ــ سورة البقرة. الآية: 164

6 ــ سورة الممتحنة.الآية:4

وبالكسر قرأ جميع القرّاء إلا عاصماً وهي بمعنى الائتساء والاقتداء، وتطلق على الخصلة التي من حقها أن يؤتسى ويقتدى بها، وعلى نفس الشّخص المؤتسى به، ففي زيد أسوة من باب التجريد نحو:

وللضّعفاء في الرّحمن كاف))[1]

وذكر منه الألوسي أيضا قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[2] وقال في تفسيرها: ((ويجوز أن يراد بالأسوة القدوة بمعنى المقتدى على معنى هو صلى الله عليه وسلم في نفسه قدوة يحسن التأسي به، وفي الكلام صنعة التّجريد ...))[3]

ب ــ التّجريد بـ (مِن)؛ نحو قوله تعالى: ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾[4].

قال السّيوطي: ((وقرئ أيضا {يَرِثُنِي وَارِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوب} قال ابن جنّي: هذا هو التّجريد،

وذلك أنّه يريد: و هَبْ لي من لَدُنك وليّاً يرثُني وارث من آل يعقوب، وهو الوارث نفسه، فكأنّه جرّد منه وارثاً))[5] أي على تقدير: يرثني من ذلك الوارث وارث، كما تقول: وجدت من الكتاب الذي طالعته كتابا نافعا. وقد أخذ كثير من المفسّرين بِما ذهب إليه ابن جنّي في هذه الآية، كما في ((روح المعاني)) للألوسي حيث قال: ((ونقل عن علي كرم الله تعالى وجهه وجَماعة أنّهم قرأوا {يَرِثُنِى } برفع {وأرث} بزنة فاعل على أنه فاعل يرثني على طريقة التّجريد كما قال أبو الفتح وغيره . أي يرثني وَلِيٌّ من ذلك الولِيّ أو به، فقد جرد من الوَلِيّ وَلِيّاً كما تقول: رأيت منه أو به أسداً))[6].

---

1 ــ الألوسي ــ روح المعاني. 28 / 84. والشّاهد للشّاعر عمران بن حطّان، وهو من قوله:

لقد زاد الحياة إلي حبا بناتي إنهن من الضعاف

ولولا ذاك قد سومت مهري وفي الرحمن للضعفاء كاف

2 ــ سورة الأحزاب. الآية:21

3 ــ تفسير الألوسي. 22 / 2

4 ــ سورة مريم. الآية:6

5 ــ جلال الدّين السّيوطي ــ الإتقان في علوم القرآن. 2 / 90. وفي معترك الأقران. 1 / 254

6 ــ الألوسي ــ روح المعاني. 16/ 73

ومنه ما ذكره صاحب ((البرهان)) حيث قال: ((وقوله ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ (الأنعام:95) على أحد التّأويلات في الآية عن ابن مسعود: هي النّطفة تخرج من الرّجل ميّتة، وهو حيّ، ويخرج الرّجل منها وهي ميّتة، قال ابن عطيّة في تفسيره هذه الآية: إنّ لفظة الإخراج في تنقّل النّطفة حتّى تكون رجلا، إنّما هو عبارة عن تغيير الحال، كما تقول في صبيّ جيّد البنية: يخرج من هذا رجل قويّ. وقد يحتمل قوله ﴿ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ أي الحيوان كلّه ميتة ثمّ يحييه. قال: وهو معنى التّجريد))[1]

و من التّجريد الذي يكون بـ (مِن) أيضا قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾[2] وذلك في قراءة من قرأ هذه الآية برفع (وَرْدَة)، فيصير المعنى كما قال المفسّرون على تقدير: فحصلت منها سماءٌ وردةٌ. جاء في تفسير الأندلسي: ((وقرأ

عُبَيد بنُ عُمَير:(وردة) بالرفع بمعنى: فحصلت سماءٌ وردةٌ، وهو من الكلام الـذي يسـمى التّجريد، كقوله:

فلئن بقيت لأرحلنّ بغزوة نحو المغانم أو يموت كريم))[3]

وقد ورد مثل هذا الشّكل في غير ما آية من القرآن كقوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[4] فلئن اختلف العلماء حول دلالة (مِنْ) في هذا الموضع ، فمن قائل إنّها للتّبعيض، ومن قائل إنّها للتّبيين، فإنّ كثيرا منهم تأوّلها تجريدية. قال الألوسي: ((و(مِن ْ) هنا قيل: للتّبعيض، وقيل: للتّبيين، وهي تجريدية، كما يقال: لفلان من أولاده جند، وللأمير من غلمانه عسكر. يراد بذلك جميع الأولاد والغلمان))[5].

---

1 ــ الزّركشيّ ــ البرهان في علوم القرآن. 2 / 448 ، 449

2 ــ سورة الرّحمن. الآية: 37

3 ــ أبو حيّان الأندلسيّ ــ البحر المحيط. 4 / 501

4 ــ سورة آل عمران. الآية:104

5 ــ الألوسي ــ روح المعاني. 4 / 20

ج ــ التّجريد بالباء؛ وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً ﴾[1]. فالخبير هو نفسه المسؤول وهو الرّحمن. قال الألوسي: ((وجُوِّز أن يكون الكلام من باب التّجريد نحو: رأيت به أسداً . أي رأيت برؤيته أسداً ، فكأنه قيل هنا: فاسأل بسؤاله خبيراً، والمعنى: إن سألته وجدته خبيراً، والباء عليه ليست صلة، فإنها باء التّجريد وهي على ما ذهب إليه الزمخشري سببية والخبر عليه هو الله تعالى أيضاً.))[2]

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوۤاْ إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴾[3] . ففي تفسير الألوسي: ((والباء للملابسة والجار والمجرور في موضع الحال من الفاعل، والأعين حقيقة في الجارحة وهي جارية مجرى التّمثيل كأن لله سبحانه أعيناً تكلؤه من تعدّي الكفرة ومن الزّيغ في الصّنعة، والجمع للمبالغة، وقد انسلخ عنه لإضافته

على ما قيل، معنى القلة وأريد به الكثرة، وحينئذ يقوى أمر المبالغة. وزعم بعضهم أن الأعين بمعنى الرقباء، وأن في ذلك ما هو من أبلغ أنواع التّجريد، وذلك أنهم ينتزعون من نفس الشّيء آخر مثله في صفته مبالغة بكمالها كما أنشد أبو علي:

أفاءت بنو مروان ظلماً دماءنا وفي الله إن لم يعدلوا حَكَمٌ عدلُ

وقد جرد ههنا من ذات المهيمن جماعة الرّقباء وهو سبحانه الرّقيب نفسه))[4]

---

1 ــ سورة الفرقان. الآية: 59

2 ــ الألوسي ــ روح المعاني. 19 / 48

3 ــ سورة هود. الآية:37

4 ــ الألوسي ــ روح المعاني . 12 / 56

ثانيا: التّجريد بغير أداة:

كما تحقّق في النّظم القرآنيّ معنى انتزاع أمر ذي صفة من أمر آخر مثله مبالغة في اتّصافه بتلك الصّفة بواسطة الأداة، فإنّه جاء بلا أداة أيضا، وذلك عن طريق عطف الخاصّ على العامّ، وعن طريق توجيه الخطاب إلى النّفس.

أ) التّجريد بعطف الخاصّ على العامّ:

ذكر العلماء أنّه يحقّق من المبالغة شِبْهَ ما يحصل من التّجريد بالأداة، ومنه قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوّاً للَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾[1] وقوله: ﴿ فِيهِمَا فَـٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّان ﴾[2]. قال القرطبي في تفسيره: ((فإن قيل: لِم خصّ الله

جبريل و ميكائيل بالذكر وإن كان ذكر الملائكة قد عَمّهما؟ قيل له: خصّهما بالذكر تشريفاً لهما؛ كما قال: ﴿ فِيهِمَا فَـٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّان ﴾))[3]. وقال عند قوله تعالى: ﴿ فِيهِمَا فَـٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّان ﴾ (الرّحمن :69): ((قال الجمهور:هما من الفاكهة، وإنّما أعاد ذكر النّخل والرّمّان لفضلهما وحسن موقعهما على الفاكهة؛ كقوله تعالى: ﴿ حَافِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَاتِ وٱلصَّلَاةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ (البقرة: 238) وقوله: ﴿ مَن كَانَ عَدُوّاً للَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ (البقرة:98)))[4] فالظّاهر من ذلك أنّ الخاصّ إذا عُطِف على العامّ أفاد تقديمه وتفضيله، كما لو كان متميّزا عمّا عُطِف عليه.

وقال صاحب ((البحر المحيط)) في تفسير قوله تعالى: ﴿ حَافِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَاتِ وٱلصَّلَاةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾(البقرة: 238): ((وخصت الصّلاة الوسطى بالذّكر، وان كانت قد اندرجت في عموم الصّلوات قبلها، تنبيهاً على فضلها على غيرها من الصّلوات، كما نبّه

---

1 ــ سورة البقرة. الآية: 98

2 ــ سورة الرّحمن. الآية: 69

3 ــ تفسير القرطبي. 2 / 36

4 ــ المصدر نفسه. 17 / 120

على فضل جبريل وميكال في تجريدهما بالذّكر في قوله: ﴿ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَـٰلَ ﴾ (البقرة: 98) وعلى فضل من ذُكِر وجُرِّد من الأنبياء بعد قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ﴾ (الأحزاب:7) وعلى فضل النّخل والرّمّان في قوله: ﴿ فِيهِمَا فَـٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ (الرّحمن: 69)))[1]

ومقتضى هذا أنّه لا معنى لأن يُعطف الشّيء على نفسه إلاّ أن يحصُل مثل ذلك الانتزاع الذي سمّاه العلماء التّجريد، فكأنّه تعالى انتزع من عموم الملائكة المُرْسَلين بأمره ملَكَين هما جبرائيل و ميكائيل[2]، وكأنّه انتزع من عموم الفاكهة فاكهة مثلها وهي النّخل والرّمّان، وكأنّه جلّ ذكره انتزع من عموم الصّلوات صلاة مثلها هي الوُسطى، فنتج من مثل ذلك تشريف وزيادة بيان لم تكن لتحصل بالاقتصار على إيراد العموم فقط.

ومن التّجريد الحاصل من طريق العطف أيضا قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [3]. قال صاحب ((البحر المحيط)): ((وكان أبو علي الفارسي يذهب إلى أنّ المعطوف في هذاوشبهه لم يندرج فيما عطف عليه قال: لأنه لا يسوغ عطف

---

1 ــ أبو حيّان الأندلسيّ. تفسير البحر المحيط. 2 / 491

2 ــ لعلماء اللّسان في جبريل وميكائيل عليهما السّلام لغات ذكرها القرطبيّ في تفسيره (2 / 36)؛ فأما التي في جبريل فَعَشْر: جبريل؛ وهي لغة أهل الحجاز؛ جَبْرِيل (بفتح الجيم) وهي قراءة الحسن وٱبن كَثير؛ جَبْرَئِيل (بياء بعد الهمزة، مثال جبرعيل)، كما قرأ أهل الكوفة؛ وهي لغة تميم وقيس.جَبْرَئيل (على وزن جَبْرَعِل) مقصور، وهي قراءة أبي بكر عن عاصم. وفي قراءة يحيى بن يَعْمر مثلها ، إلا أنه شدّد اللام.جبرائل (بألف بعد الراء ثم همزة) وبها قرأ عِكرمة.وقُرئ مثلها؛ إلا أن بعد الهمزة ياء.جبريل (بياءين بغير همزة) وبها قرأ الأعمش ويحيى بن يعمر أيضاً. جَبْرِئِين (بفتح الجيم مع همزة مكسورة بعدها ياء ونون. جِبْرين (بكسر الجيم وتسكين الياء بنون من غير همزة) وهي لغة بني أسد. قال الطبري: ولم يُقرأ بها. وأمّا اللغات التي في ميكائيل فِستّ:ميكاييل، قراءة نافع. وميكائيل (بياء بعد الهمزة) قراءة حمزة. ميكال، لغة أهل الحجاز، وهي قراءة أبي عمرو وحفص عن عاصم. ورُوِيَ عن ٱبن كَثير الثلاثة أوجه؛ ميكئيل، مثل ميكعيل؛ وهي قراءة ٱبن مُحَيْصِن. ميكاييل (بياءين) وهي قراءة الأعمش باختلاف عنه.ميكاءَل؛ كما يقال (إسراءل بهمزة مفتوحة)، وهو ٱسم أعجمي فلذلك لم ينصرف.

3 ــ سورة التّوبة. الآية: 79

الشّيء على مثله. وكذلك كان يقول في ﴿ وَمَلاَئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ وفي قوله: ﴿فِيهِمَا فَـٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ و إلى هذا كان يذهب تلميذه ابن جني، وأكثر الناس على خلافهما وتسمية بعضهم التّجريد، جرّدوا بالذّكر على سبيل التّشريف))[1]

وقد ذكر المفسّرون كثيرا من أمثلة التّخصيص بعد التّعميم المراد به تجريد المعنى، فعند قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ [2] قال الفخر الرّازي[3]: ((واعلم أنّه تعالى لَمّا رغّبهم في أداء التّكاليف بما ذكر من التّهديد، رغّبهم أيضاً في أدائها بأن ذكّرهم أنواع نعمه عليهم، فبدأ أوّلاً بذكرها على سبيل الإجمال فقال: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ وهذا يتناول كل نعم الله على العبد في الدّنيا وفي الدين، ثم إنّه تعالى ذكر بعد هذا نعم الدّين، وإنّما خصّها بالذّكر لأنّها أجلّ من نعم الدّنيا، فقال:

﴿ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مّنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ﴾ والمعنى أنه إنّما أنزل الكتاب والحكمة ليعظكم به، ثم قال: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي في أوامره كلّها، ولا تخالفوه في نواهيه ﴿ وَٱعْلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلّ شَىْء عَلِيمٌ ﴾))[4]

وقال الألوسي: ((﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ أي قابلوها بالشّكر والقيام بحقوقها. والنّعمة إمّا عامة، فعَطْفُ ﴿ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم ﴾ عليها من عطف الخاصّ على العامّ، وإمّا أن تُخَصَّ بالإسلام ونبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ، وخُصَّ بالذكر (أي شُكْرُ النّعمة) لِيُناسِب ما سبقه، وليدلّ على أن ما كانوا عليه من الإمساك إضراراً من سنن الجاهلية المخالفة، كأنه لَمّا قيل: جِدّوا في العمل بالآيات على طريق الكناية أكد ذلك بأنه شكر النعمة فقوموا بحقّه، ويكون العطف تأكيداً على تأكيد، لأن الإسلام ونبوّة محمد صلى الله عليه وسلم يشملان إنزال الكتاب والسنة ــ وهو قريب من عطف التّفسير ــ ولا بأس أن يسمى عطف التّقرير، قيل: ولو عمّم النّعمة لم يحسن موقعه هذا الحسنَ))[5] .

---

1 ــ أبو حيّان الأندلسي ــ البحر المحيط .5 / 468 ، 469

2 ــ سورة البقرة. الآية: 231

3 ــ هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الطبرستاني الأصل الرازي المولد، الملقب فخر الدين، المعروف بابن الخطيب، الفقيه الشافعي (544 ــ 606 هـ)

4 ــ تفسير الرّازي. 6 / 451

5 ــ الألوسي ــ روح المعاني. 2 / 144

و في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِى ٱلاْرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَـٰلُكُمْ﴾[1] قال أبو حيّان الأندلسي: ((فذِكْرُ الطّائر بعد ذكر الدّابة تخصيص بعد تعميم وذكْرُ بعضٍ من كلَ، وصار من باب التّجريد كقوله: ﴿ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَـٰلَ ﴾ بعد ذكر الملائكة))[2].

على هذا الهدي أيضا قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يأَبَتِ إِنِى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾[3]، فقد عطف الشّمس والقمر على الكواكب مع أنّهما منها، فدلّ ذلك على إكبارهما وإعظام شأنهما كما يقول المفسّرون. قال الرّازي: ((أخّرهما لفضلهما على الكواكب، لأن التّخصيص بالذّكر يدلّ على مزيد الشّرف))[4].

ب) التّجريد بخطاب النّفس:

وقد ورد ذلك في عدّة مواضع من القرآن كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[5]. قال الألوسي في تفسيرها: (([قَاتَلَهُمُ ٱللَّهُ] أي لعنهم وطردهم، فإن القتل قصارى شدائد الدّنيا وفظائعها، وكذلك الطّرد عن رحْمة الله تعالى والبُعد عن جنابه الأقدس، منتهى عذابه عزّ وجلّ وغاية نكاله جلّ وعلا في الدّنيا والآخرة، والكلام دعاء وطلب من ذاته سبحانه أن يلعنهم ويطردهم من رحْمَتِهِ تعالى، وهو من أسلوب التّجريد))[6] أي: كأنّ الله سبحانه وتعالى جرّد من ذاته العليّة ذاتاً وخاطبها، يأمرها أن تلعن هؤلاء وتطردهم من رحمته.

ومن أمثلة التّجريد الذي تحقّق بمُخاطبة النّفس قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [6]. قال القرطبيّ في تفسيره: ((وقرأ حمزة والكسائي بوصل

---

1 ــ سورة الأنعام. الآية: 38

2 ــ أبو حيّان الأندلسي ــ البحر المحيط. 4 / 501

3 ــ سورة يوسف. الآية: 4

4 ــ تفسير الرّازي. 18 / 420

4 ــ سورة المنافقين. الآية:4

5 ــ الألوسي ــ روح المعاني. 28 / 122

6 ــ سورة البقرة. الآية:259

الألف، ويحتمل وجهين: أحدهما قال له الملك: ٱعلم، والآخر هو أن يتزّل نفسه منزلة المخاطَب الأجنبي المنفصل؛ فالمعنى فلما تبين له قال لنفسه: ٱعلمي يا نفس هذا العلم اليقين الذي لم تكوني تعلمين معاينة))[1]. وقد استحسن القرطبيّ هذا المعنى الأخير حيث قال بعده: ((ويبعد أن يكون ذلك أمراً من الله جلّ ذكره له بالعلم؛ لأنه قد أظهر إليه قدرته، وأراه أمراً أيقن صحته وأقرّ بالقدرة، فلا معنى لأن يأمره الله بعلم ذلك، بل هو يأمر نفسه بذلك، وهو جائز حسَن))[2].

وقال العكبريّ[3]: ((﴿ قال أعلم ﴾ يقرأ بفتح الهمزة واللاّم على أنه أخبر عن نفسه ويقرأ بوصل الهمزة على الأمر، وفاعل قال الله، وقيل فاعله عزيز، وأمر نفسه كما يأمر المخاطب

كما تقول لنفسك: اعلمْ يا عبد الله، وهذا يسمّى التّجريد، وقرىء بقطع الهمزة وفتحها وكسر اللاّم، والمعنى: أعلِم النّاسَ)) [4].

ومّما تحقّق فيه التّجريد بمخاطبة النّفس أيضا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَداً آمِناً وَٱرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[5]، وذلك في قوله ﴿ فَأُمَتِّعُهُ ﴾. قال الألوسيّ: ((وقرأ ابن عامر {فَأُمَتّعُهُ } مخففاً على الخبر، وكذا قرأ يحي بن وثاب إلا أنه كسر

---

1 ــ تفسير القرطبيّ . 3 / 288

2 ــ نفسه . 3 / 288

3 ــ هو الشّيخ أبو البقاء عبد الله بن أبي عبد الله الحسين بن أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري الأصل (نسبة إلى عكبرا بلدة على دجلة) البغدادي المولد والدار، الفقيه الحنبلي الحاسب الفرضي النحوي الضّرير، الملقب محب الدين (538 ــ 616 هـ) أخذ النحو عن أبي محمد ابن الخشّاب وعن غيره من مشايخ عصره ببغداد، وسمع الحديث من أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد المعروف بابن البطّي، ومن أبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي، وغيرهما. وكان الغالب عليه علم النحو وصنف فيه مصنفات مفيدة، وشرح كتاب " الإيضاح " لأبي علي الفارسي، وديوان المتنبي، وله كتاب " إعراب القرآن الكريم " في مجلدين، و " إعراب الحديث "، و " شرح اللُّمَع " لابن جني، و " اللباب في علل النحو" و " إعراب شعر الحماسة" وشرح " المفصل " للزمخشري شرحاً مستوفىً وشرح " الخطب النباتية " و" المقامات الحريرية " ...

4 ــ العكبريّ ــ التّبيان في إعراب القرآن. 1 / 110

5 ــ سورة البقرة. الآية: 126

الهمزة، وقرأ أُبَيّ (فَنُمْتِعُهُ) بالنّون وابن عباس ومجاهد {فَأُمَتّعُهُ } على صيغة الأمر، وعلى هذه القراءة يتعين أن يكون الضمير في {قَالَ } عائداً إلى إبراهيم وحسن إعادة {قَالَ} طول الكلام وأنه انتقل من الدعاء لقوم إلى الدعاء على آخرين فكأنه أخذ في كلام آخر، وكونه عائداً إليه تعالى أي: قال الله فأَمْتِعْهُ يا قادرُ يا رازقُ ! خطاباً لنفسه على طريق التّجريد)) [1].

ومنه كذلك ما ذهب إليه المفسّرون في قوله تعالى: ﴿ وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [2]. قال الألوسي: ((تلطّف في إرشاد قومه بإيراده في معرض المناصحة لنفسه وإمحاض النصح، حيث أراهم أنه اختار لهم ما يختار لنفسه والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم إلى عبادة غيره كما ينبىء عنه قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾)) [3].

1 ــ الألوسي ــ روح المعاني . 1 / 381

2 ــ سورة يس. الآية:22

3 ــ الألوسي ــ روح المعاني . 23 / 6

المبحث الثّاني:

دلالة التّجريد في القرآن الكريم

وقف العلماء في معرض تأمّلهم كلام العرب الفصحاء، وخلال تناولهم كتاب الله بالدّرس والتّفسير، على بعض فوائد التّجريد. والواقع أنّ ما ذكروه في هذا الباب لا يعدو في الأعمّ كونه منقولا بالتّواتر، من أنّ التّجريد ضرب من المبالغة يدّعي به المتكلّم أنّ المنتزَع قد ضاهى المنتزعَ منه في الاتّصاف بتلك الصّفة التي كان لها الانتزاع. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ ما ذُكر في هذا المضمار لم يَبْعُد في كثير من الأحيان عن والانطباعية الشّخصية، نحو ما

يُسْتَفاد من قول ابن الأثير: ((وقد تأملته ــ أي التّجريد ــ فوجدت له فائدتين، إحداهما أبلغ من الأخرى؛ فالأولى طلب التّوسّع في الكلام، فإنه إذا كان ظاهره خطاباً لغيرك وباطنه خطاباً لنفسك فإن ذلك من باب التّوسّع. والفائدة الثانية، وهي الأبلغ؛ وذاك أنه يُمكّن المخاطِب من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه، إذ يكون مخاطِباً بِهاَ غَيْرَهُ، ليكونَ أعذرَ وأَبْرَأَ من العُهْدَةِ فِيمَا يَقُولُــهُ غَيْــرَ مَحْجُــورٍ عَلَيْــهِ)) [1].

إنّ ما ذكره ابن الأثير في هذا الموضع ليس سوى ملاحظات شخصيّة، أو موقف ذاتيّ وتأمّلات عابرة، لا تفي بِحَسْمِ كلّ الشّبهات حول التّجريد، ولا تؤدّي كلّ فوائده البلاغية، كما يوحي ظاهر عباراته مثل: ((وقد تأمّلته ... فوجدت...)) . ولعلّ الذي أراده بالتّوسّعِ هو التّوسّعُ في المعنى من غير أن يُلجأ إلى كمّية لفظية يضيق عنها المقام. وبعبارة أخرى فإنّ التّجريد من الإيجاز، إذ لو أخرج المتكلّم أغراضه كلّها إلى الظّاهر، فشمل بقصده نفسه وغيره في آن معا، لاحتاج إلى كلام كثير، ولأخلّ مع ذلك بالعلاقات التّرتيبية والاستبدالية التي يتأسّس عليها نظام الكلام. وبهذا يصبح التّجريد صنوا للاختصار والإيجاز ورمزا لاستخلاص الفحوى الأساسي والمركزي والوصول إلى صلب الموضوع عن طريق الاحتفاظ بجوهر الأشياء ونزع مظاهرها الخارجية.

---

1 ــ ابن الأثير ــ المثل السّائر. 2 / 168

وأمّا الفائدة الثّانية التي ذكرها، وهي الأبلغ عنده من الأولى، فمردّها إلى أنّ المتكلّم بالتّجريد يتخطّى كثيرا من الحواجز والقيود، كتلك التي تُلزمه نفسه أو يُلْزِمُه المجتمع بالوقوف عندها. فكأنّه لتلك القيود وأشباهها لا يستطيع أن يتحدّث بِمَا في نفسه من صفات وفضائل، إلاّ من خلال أسلوب هو إلى التّلميح أميل، وللإشارة أو الرّمز أعدلُ.

لقد استنبط العلماء من التّجريد بعض الفوائد والنّكت البلاغية الأخرى، كتلك التي ذكرها الحافظ جلال الدّين السّيوطي في ((شرح عقود الجمان)) وقال إنّها من زياداته [1] ومنها تحريض النّفس وطلب النّفع لها، وذلك كقول عمرو بن الإطنابة:

أبَتْ لِي عفَّتي وأبَــى بلائي ... وأخْذِي الحمدَ بالثمن الرَّبيحِ
وإعطائي على المكروه مالِي ... وإقدامي على البطلِ المُشيــحِ

وقولي كلَّما جشَأتْ وجاشتْ: مكانكِ تُحمَدي أو تَستَريحي [2]

لأدفعَ عن مآثِرَ صالِحـــاتٍ وأَحمِي بعدُ عن عِرضٍ صحيحِ

قال السّيوطي بعد أن أورد قول ابن الإطنابة: ((و لَمّا أراد أن يوطّن نفسه على احتمال المكروه جرّدها مخاطبا لها نُصحا)) [3].

وشبيه به قول قطريّ بن الفجاءة [4]:

أَقولُ لَها وَقَد طارَت شَعاعاً من الأبطالِ ويحَك لن تُراعِـــي

فإنَّكِ لو طلبتِ حياةَ يـــوم على الأجلِ الَّذي لكِ لَن تُطاعي

فصبراً في مجال الموتِ صبراً فما نيلُ الخلـــودِ بِمُستـــطاعِ

---

1 ــ جلال الدّين عبد الرّحمن السّيوطي ــ شرح عقود الجمان. ص 121

2 ــ يقول: كلّما اضطربت نفسي من الجبن والخوف قهرتها بالصّبر

3 ــ جلال الدّين عبد الرّحمن السّيوطي ــ شرح عقود الجمان. ص 121

4 ــ قطري بن الفجاءة، واسم أبيه جعونة التّميمي المازني، أبو نعامة، رأس الخوارج في زمانه. وكان من الخطباء البلغاء من شعراء الحماسة. كان أحد الأبطال. خرج في خلافة ابن الزبير، وبقي يقاتل المسلمين ويستظهر عليهم بضع عشرة سنة، وتغلب على نواحي فارس ولم يقدر عليه، بل عثرت به فرسه واندقت عنقه بطبرستان سنة تسع وتسعين للهجرة، وحمل رأسه إلى الحجاج.

ومعنى مناصحة النّفس هو ما يستفاد من قوله تعالى في حديث صاحب يس : ﴿ وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [1] ففي كتب التّفسير أنّ الله تعالى ذِكره يقول مُخْبِرًا عن قيل هذا الرجل المؤمن: ﴿ وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾ أي: وأيّ شيء لي حتّى لا أعبد الربّ الذي خلقني وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ جميعا أيها القوم، وهذا حين أبدى لقومه إيمانه بالله وتوحيده. قال الألوسي في تفسير ذلك أنّه ((تلطّفٌ في إرشاد قومه بإيراده في معرض المناصحة لنفسه و إمحاض النّصح حيث أراهم أنه اختار لهم ما يختار لنفسه، والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم إلى عبادة غيره)) [2]

ومن تلك الفوائد التي تتحقّق بأسلوب التّجريد تأنيب النّفس أو قمعها وتوبيخها، كقول امرئ القيس:

تطاول ليلك بالأثْمُدِ ونام الخليّ ولم ترقُدِ

قال السّيوطي في التّعليق على البيت: ((خاطب نفسه على جهة التّجريد موبّخا لها، فإنّ نفسه نفس ملك فكان من حقّها الصّبر وعدم الجزع))[3]. في هذا المعنى قرأ الألوسي قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴾[4] قال: ((هذا القول يحتمل أن يكون تأنيباً وتوبيخاً لهم وقوله سبحانه: ﴿ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴾ إنكار لمضمونه، أي لقد أعذرت لكم في الإبلاغ والنّصحية والتّحذير مما حلّ بكم فلم تسمعوا قَـولي ولَم تصدّقوني، ﴿ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ ﴾ أي: لا آسى عليكم لأنكم لستم أحقّاء بالأسى وهو الحزن كما في « الصّحاح » و « القاموس» أو شدة الحزن كما في « الكشّاف » و «مجمع البيان »، ويحتمل أن يكون تأسّفاً بهم لشدة حزنه عليهم، وقوله سبحانه: ﴿ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴾ إنكار

---

1 ــ سورة يس. الآية:22

2 ــ الألوسي ــ روح المعاني. 23 / 6

3 ــ جال الدّين السّيوطي ــ شرح عقود الجمان. ص 121

4 ــ سورة الأعراف. الآية: 93

على نفسه لذلك، وفيه تجريد والتفات على ما قيل حيث جرّد عليه السّلام من نفسه شخصاً وأنكر عليه حزنه على قوم لا يستحقّونه والتفت على الخطاب إلى التكلّم))[1]

وذكر السّيوطي من فوائد التّجريد أيضا قصد التّحريض، ومثّل له بقول المتنبّي:

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النّطق إن لم تسعد الحال

قال بعد هذا البيت: ((جرّد نفسه وخاطبها على جهة التّحريض على مدح الممدوح))[2].

هذه الفوائد والنّكت جمعها يمكن ردّها إلى ما أسمي عندهم باب التّوسّع. وإذا جاز أن يقال بها إلى حدّ ما، فلا يجوز الجزم بأنّها كلّ الدّلالات التي يمكن أن ينصرف إليها أسلوب التّجريد في لغة القرآن الكريم، فلقد غنيت تلك اللّغة بالتّجريد فاكتسبت دلالات لا متناهية، وأبعادا من المعاني مطلقة، لا تحتويها مجرّد انطباعات شخصيّة أو ملاحظات بؤريّة عابرة. من هذا

المنظور كان سيّد قطب[3] في ((ظلاله)) يقارب الدّلالات ويتتبّع الصّور. قال في تفسير آية الكرسيّ: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾[4] : ((...وقد جاء التعبير في هذه الصورة الحسِّية في موضع التّجريد المطلق؛ على طريقة القرآن في التّعبير التّصويري، لأن الصورة هنا تمنح الحقيقة المراد تمثيلها للقلب قوّة وعمقا وثباتا. فالكرسي يستخدم عادة في معنى الملك. فإذا وسع كرسيه السّماوات والأرض فقد وسعهما سلطانه. وهذه هي الحقيقة من النّاحية الذّهنية. ولكنّ الصّورة التي ترتسم في الحسّ من التّعبير بالمحسوس أثبت وأمكن))[5].

---

1 ــ تفسير الألوسي. 9 / 9

2 ــ جلال الدّين عبد الرّحمن السّيوطي ــ شرح عقود الجمان. ص 122

3 ــ أديب مصري معاصر، بدأ حياته التّعليمية في المعاهد الأزهريّة، وتخرّج في دار العلومثمّ تابع دراسته في أمريكا وبعد عودته إلى مصر اشتغل بالتّدريس، وبعض الأعمال الإدارية، وكتب في الصّحف والمجلاّت، وعمل رئيسا لتحرير جريدة ((الإخوان المسلمون)) واشتهر بكتاباته الدّينية والسياسية والأدبية والنّقدية. من أهمّ آثاره: في ظلال القرآن، هذا الدّين، خصائص التّصوّر الإسلامي ومقوّماته، الإسلام ومشكلات الحضارة، النّقد الأدبي أصوله ومناهجه، مهمّة الشّاعر في الحياة...توفّي عام 1965م.

4 ــ سورة البقرة. الآية:255

5 ــ سيّد قطب ــ في ظلال القرآن . 1 / 290

لقد نظر سيّد قطب إلى التّجريد على أنّه طريقة في التّصوير اختصّ بها النّظم القرآنيّ، فجاءت به المعاني في غاية من نصاعة التّصوّر وكماله وإشراقه بما لا تؤدّيه أساليب البشر في التّصوير، ولا تتّسع له مداركهم وعقولهم في الفهم ، ولذلك فالقرآن كثيرا ما يعمد إلى تقريب المعاني إلى تصور البشر القاصر بمثال محسوس على طريقتهم المألوفة في التّصوير. قال في الدّرس السّابع من دروس ((الظّلال)) عندما عرض قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً لكَلِمَاتِ رَبِي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾[1]: ((والبحر أوسع وأغزر ما يعرفه البشر، و البشر يكتبون بالمِداد كلّ ما يكتبون وكلّ ما يسجّلون به علمهم الذي يعتقدون أنه غزير ! فالسّياق يعرض لهم البحر بسعته وغزارته في صورة مداد يكتبون به كلمات الله الدّالة على علمه؛ فإذا البحر ينفد وكلمات الله لا تنفد. ثم إذا هو

يمدّهم ببحر آخر مثله، ثم إذا البحر الآخر ينفد كذلك وكلمات الله تنتظر المداد! وبهذا التّصوير المحسوس والحركة المجسمة يقرّب إلى التّصوّر البشريّ المحدود معنى غير المحدود، ونسبة المحدود إليه مهما عظم واتّسع. والمعنى الكلّي المجرّد يظلّ حائرا في التّصوّر البشري ومائعا حتى يتمثل في صورة محسوسة. ومهما أوتي العقل البشري من القدرة على التّجريد فإنه يظل في حاجة إلى تمثّل المعنى المجرّد في صور وأشكال وخصائص ونماذج . ذلك شأنه مع المعاني المجرّدة التي تمثّل المحدود ، فكيف بغير المحدود ؟))[2]

التّجريد بهذه الصّفة هو بعضٌ ممّا اختصّت به الذّات الإلهية، وهو ما يفهم من كلام سيّد قطب، حين تناول قوله تعالى ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوۤءُ ﴾[3] فقال: ((بهذا الإعلان تتمّ لعقيدة التّوحيد الإسلامية كل خصائص التّجريد المطلق، من الشّرك في أيّة صورة من صوره.

---

1 ــ سورة الكهف. الآية: 109

2 ــ سيّد قطب ــ في ظلال القرآن . 16 / 2296

3 ــ سورة الأعراف. الآية: 188

وتتفرّد الذّات الإلهية بخصائص لا يشاركها البشر في شيء منها. و لو كان هذا البشر محمّداً رسول الله وحبيبه ومصطفاه – عليه صلوات الله وسلامه – فعند عتبة الغيب تقف الطّاقة البشرية، ويقف العلم البشري. وعند حدود البشرية يقف شخص رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وتتحدّد وظيفته))[1].

ممّا تقدّم فإنّ التّجريد هو عنصر مشعّ في لغة القرآن، وقوّة ليست تتأتّى مع غيره من الأساليب، وقد كان أبو الفتح عثمان ابن جنّي من العلماء الذين تحسّسوا فيه تلك الرّوح وذلك الإشعاع، فقال بعد أن تمثّل بقول الشّاعر:

أفاءت بنو مروان ظلما دماءنا وفي الله إن لم يعدلوا حكم عدل

((وهذا غاية البيان والكشف. ألا ترى أنّه لا يجوز أن يُعتقد أنّ الله سبحانه ظرف لشيء، ولا متضمّن له ؟)) [2]

وبهذا يكون التّجريد في القرآن أبلغ دلالة من مجرّد انتزاع شيء من شيء ادّعاء المبالغة في الاتّصاف بتلك الصّفة التي كان لأجلها الانتزاع، وهو أوسع مدى من مجرّد بنية خطابية محصورة في ثلاثة أحرف. إنّه جزء من السّياق الدّلالي اللاّمتناهي الذي تشعّ به جمالية الإعجاز القرآني، ممّا يعني أنّ كلّ المقاربات المعيارية نسبية في تمثّلها دلالة النّموذج التّجريدي في النّظم القرآنيّ المعجز.

---

1 ــ سيّد قطب ــ في ظلال القرآن. 9 / 1410

2 ــ ابن جنّي ــ الخصائص. 2 / 473

خاتمة

لقد اتّضح أنّ البلاغة العربيّة كانت بلاغة تفسير وشرح قبل كونها بلاغة إنتاج أو إنشاء، وذلك نتيجة ما تهيّأ لها من نماذج القول البديع شعرا ونثرا، ولذا كان طبيعيا أن يدور شطر كبير منها في فلك الاقتراب من المعاني، وحقول الدّلالات التي تحملها النّظوم والأشكال، فإذا هي بالنّهج ذاته قد اكتملت ونضجت علما ذا قواعد وأصول أهّلتها لأن تكون كذلك بلاغة إنتاج وإنشاء.

والحقّ أن أكبر حظّ للبلاغة العربيّة من تلك النّماذج القولية، كان في أسلوب القرآن الكريم، فما من قاعدة أو أصل بلاغيّ اهتدى إليه العلماء، إلاّ وعثروا له في النّظم القرآنيّ بِما

يفي بتمثيله أحسن تمثيل، والتّدليل عليه بأقوى دليل، مثلما تبيّن في أسلوب التّجريد الذي عرضنا له في هذا البحث.

و الذي ثبت لدينا بخصوص التّجريد، أنّه أسلوب مكين في الاستعمال العربيّ الفصيح، أكّد النّظم القرآنيّ المعجز استعماله، إذ جاء فيه بالأشكال نفسها التي وردت في شعر العرب ونثرهم، فمنه ما كان بأداة، و منه ما ورد بغير أداة.

وسواء وقع التّجريد بواسطة الأداة أو من دونها، فهو انتزاع أمر ذي صفة من أمر آخر مثله في تلك الصّفة، لا لمجرّد الانتزاع كي يصير المنتزع والمنتزع منه شيئين اثنين، بل على أنّهما شيء واحد، يشي بمبالغة معنويّة في ذهن المتكلّم به و في نفسه، من أنّ المنتزع منه قد ضاهى المنتزع في صفة هي محور هذا التّحوّل من دلالة إلى أخرى.

لقد حسم العلماء أمر العلاقة بين المنتزع والمنتزع منه في هذا الشّكل التّعبيري بأنّها ليست المشابهة، فبان به أنّ التّجريد ليس تشبيها ولا استعارة، ولا هو من الكناية أيضا. وهو، وإن كان مِمّا يرد على خلاف مقتضى الظّاهر، فمبناه في كلّ أحواله على اعتبار الاتّحاد المطلق بين المنتزع منه و المنتزع، مِمّا يجعله مثالا لتفنّن العربيّ في ابتكار طرق التّعبير

عن المعاني القائمة في نفسه أو المتصوّرة في ذهنه، ودليل ذكاء حادّ منه، وقدرة ذهنية خلاّقة ينفذ بها إلى صميم الأشياء ودخائل النّفوس، فيجري على انتزاع أمر من أمر، بل نفس من نفسه، ويخاطبها كما لو كانت منفصلة عنه، و مباينة له.

لقد تأكّد لنا من تتبّع ملاحظات العلماء وآرائهم في التّجريد مدى تأثّر الدّرس اللّغوي عندهم بمباحث علم الكلام، فكانت معاني (الرّوح) و (الجسد) و (النّفس)...و ما شاكل ذلك توجّه دلالة الخطاب في مناقشاتهم.

وتأكّد لنا من خلال تلك الملاحظات أيضا، أنّ المعيارية التّقليدية التي عوّل عليها الدّرس اللّغوي، قد أضرت بروح هذا النّموذج التّعبيري المسمّى تجريدا، كما أضرّت بالكثير من أساليب التّعبير العربي الأخرى، فلم تكن في مستوى قوّته الإيحائية وقدرته التّفجيرية للمعاني التي ينضح بها الفكر أو تعتلج بها النّفس، وذلك من جانبين:

ـــ الجانب الأوّل هو ربط التّجريد ببنيات أو أشكال لفظية محدودة، لم تتعدّ استعمال ثلاثة أحرف جارّة، وكذا ما ينشأ من مخاطبة المتكلّم نفسه مباشرة، وهذا رغم ما في ثروة اللّغة العربيّة التي وسعت كتاب الله لفظا ومعنى، من البنى و الأشكال الكفيلة بتوجيه المعاني القائمة في النّفس أو المتصوّرة في الذّهن على نحو ما يكون من تلك الأشكال المعدودة والأحوال المحدودة التي جعلوا التّجريد وقفا عليها.

ـــ والجانب الثّاني هو التّواتر على تصنيف التّجريد ضمن مباحث علم البديع، ممّا يجعله بنفس الاعتبار مع سائر ضروب البديع، بما فيها تلك المعتبرة في عداد الحلية الصّامتيّة الخالصة، و هو الذي رآه بعض العلماء غاية الكشف والبيان. وهو ما يعني أنّ قيمته التّعبيرية أوسع مدى من اعتباره مجرّد بنية حدّية محصورة.

و لم يُقيَّض لهذا الأسلوب المكين في الاستعمال الفصيح من الدّراسات الحديثة و الجادّة، ما يرفع لبسه، و يقرّب بيانه، فقد أصبح أو كاد غريبا مجهولا مشتبها بغيره، حتّى لدى أهل الاختصاص أنفسهم، فلا معنى للتّجريد عندهم في أكثر الأحيان، سوى المعنى العامّ الذي يراد به مقابل المحسوس الملموس.

ويبقى أسلوب التّجريد في لسان العرب الذي نطق به القرآن الكريم من المباحث البلاغية التي لا تزال تنتظر دراسات علميّة مستفيضة، من شأنها تصل ما وقف عليه علماء العربيّة بِما انتهت إليه العلوم الحديثة من نظريات ونتائج في حقول الدّراسات اللّغويّة، علّها بذلك تفتح نافذة جديدة من نوافذ الإعجاز التي لا تنقضي، وتعيد للبلاغة القرآنية رونقها وإشراقها.

و بعد، فلئن لم أتوصّل في هذا المبحث إلى عظيم النّتائج، فحسبي أنّني نبّهت على أهمّيته، ونفضت بعض الغبار عن جهود علماء العربيّة الذين استوقفهم هذا الأسلوب بين جملة أساليب التّعبير العربي الأخرى.

والله من وراء القصد

فهارس البحث

فهرس الآيات القرآنية

نصّ الآية	السّورة و رقم الآية	الصّفحة
فاتحة الكتاب		
﴿ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	(4 ، 5).	58

سورة البقرة

﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِّجَارَتُهُمْ ﴾ (16) 28

﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (28) 28

﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ (30) 29

﴿ مَن كَانَ عَدُوّاً للَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾ (98) 89 ، 90 ، 91، 92

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَداً آمِناً وَٱرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ (126) 93

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَٱخْتِلاَفِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِيَاحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلأَرْضِ لآيَاتٍ لقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (164) 85

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ ﴾ (171:) 29

﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ (231) 91

﴿ حَافِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَاتِ وٱلصَّلاَةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ (238) 55 ، 89

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (255) 98

﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (259) 92

سورة آل عمران

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَٱخْتِلاَفِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي ٱلأَلْبَابِ ﴾ (190) 83

﴿ وَلْتَكُن مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (104) 87

سورة المائدة

﴿ حرّمت عليكم الميتة والدّم ولحم الخنزير ﴾ (3) 25

سورة الأنعام

﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ (95) 87

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِى ٱلأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَـٰلُكُمْ ﴾ (38) 92

سورة الأعراف

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ ﴾ (199) 4

﴿ أَلاَ لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلأَمْرُ ﴾ سورة الأعراف. (54) 16 ، 17

﴿ وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾ (62:) 27

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ
فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴾ (93) 97

﴿ قُـل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً لكَلِمَـاتِ رَبي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ
كَلِمَـاتُ رَبي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِـهِ مَدَداً ﴾ (188) 99

سورو التّوبة

﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِـينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ
إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (79) 27، 90

﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾ (127) 26

سورة يونس

﴿حتّى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم ﴾ (22) 58

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُمْ
من دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (38) 11

سورة هود

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُمْ
من دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (13) 11

﴿ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ ﴾ (38) 27

﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴾ (37) 88

﴿ وَقِيلَ يَٰأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ
عَلَى ٱلْجُودِي وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ ﴾ (54) 51

سورة يوسف

﴿ إِنَّآ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلونَ ﴾ (2) 8

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يٰأَبتِ إِنِي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ
رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (4) 92

سورة النّحل

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنْكَرِ
وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (90) 9

﴿ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ ﴾ (112) 55

سورة الإسراء

﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَىٰ ٱلْمَسْجِدِ ٱلأَقْصَى ﴾ (1) 55

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلإِنْسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ
وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (88) 12

سورة مريم

﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ (6) 86 ،77

سورة طه

﴿ وَكَذٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (113) 8

سورة الحجّ

﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾ (34) 16

سورة الفرقان

﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً ﴾ (59) 88

سورة الشّعراء

﴿ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾ (148) 14

سورة لقمان

﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِـي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ (14) 27

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ
مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (27) م.هـ

سورة الأحزاب

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـٰنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِن نُّوحٍ ﴾ (7) 90

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (26) 86

سورة سبأ

﴿ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ﴾ (13) 13

﴿ بل مكر اللّيل والنّهار ﴾ (33) 28

﴿ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَـــاتِ آمِنُونَ ﴾ (37) 14

سورة فاطر

﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيۤ أَرْسَلَ ٱلرياحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ (9) 58 ، 59

سورة يس

﴿ وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (22) 58 ، 59 ، 94، 97

سورة الصّافّات

﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُم من طِينٍ لاَّزِبٍ ﴾ (11) 27

سورة الزّمر

﴿ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غـــرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾ (2) 14

﴿ قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (28) 8 ، 18 ، 47

سورة فصّلت

﴿ لاَّ يَأْتِيهِ ٱلْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ منْ حَكِيـــمٍ حَمِيـــدٍ ﴾ (42) 47

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْآنِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (26) 11

﴿ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الخُلْدِ ﴾ (28) 63 ، 68 ، 73، 74 ، 76 ، 84 ، 85

سورة ق

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (37) 85

سورةالطّور

﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِن كَانُواْ صَادِقِينَ ﴾ (33، 34) 11

سورة الرّحمن

﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْآنَ * خَلَقَ ٱلإِنسَانَ * عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ (1 ، 4) 45

﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾ (37) 73، 87

﴿ فِيهِمَا فَـٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّان ﴾ (69) 89 ، 90 ، 91

سورة الممتحنة

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيۤ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَـهُ ﴾ (4) 85

سورة المنافقين

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَـٰمُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ
يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (4) 92

سورة التّحريم

﴿يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ قُوۤاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ (6) 16

سورة القلم

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (4) 5

سورة النّازعات

﴿ يَقُولونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾ (10) 27

سورة عبس

﴿ وَفَاكِهَـــةً وَأَبَـــّا ﴾	(31)	م.هـ

سورة القارعة

﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾	(9)	80 ، 81
﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴾	(10)	80 ، 81
﴿ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾	(11)	81

سورة الكوثر

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَـــٰكَ ٱلْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾	(1 ، 2)	58 ، 60

فهرس الأحاديث النّبويّة

نصّ الحديث	الصّفحة
((إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق))	ص 4
((إنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقاً))	ص 4

((إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتّى يغسلها ثلاثا)) ص 25
((إياك ومحقّرات الذّنوب فإنّ لها من الله طالبا)) ص 74

فهرس الشّواهد الشّعرية

صدر البيت	القافية	الوزن	الصّفحة
(ب)			
طَحَا بِكَ قلبٌ في الحِسَان طَرُوبُ	مَشِيبُ	[الطّويل]	58 ، 59

تُكَلِّفُني لَيْلَى وَقَدْ شَـــطَّ وَلْيُـــهَا	خُطُوبُ	[الطّويل]	58 ، 59
وانْسَ العُلُومَ وَمَا قَدْ كُنْتَ تَكْتُبُهُ	مُكْتَتَبِ	[البسيط]	49
هوت أمه ما يبعث الصّبح غاديا	يؤوب	[الطّويل]	80

(ح)

ألستم خير من ركب المطايا	راح	[الوافر]	29
أبَتْ لِي عفَّتي وأبَـــى بلائي	الرَّبيحِ	[الوافر]	96
وإعطائي على المكروه مالِي	المُشيحِ	[الوافر]	96
لأدفعَ عن مآثِرَ صالِحـــاتٍ	صحيحِ	[الوافر]	96
وقولي كلَّما جشَأتْ وجاشتْ	تَسْتَريحي	[الوافر]	70 ،74، 96

(د)

تطاول ليلكَ بالأَثْمُدِ	لم ترقدِ	[المتقارب]	59 ، 60 ، 75، 97
وبات وباتت له ليلة	الأرمدِ	[المتقارب]	60
وذلك من نبأ جاءني	الأسود	[المتقارب]	60
ومعان لو فصّلتها القوافـــي	لَبِيدِ	[الخفيف]	37
حزن مستعمل الكلام اختيارا	التّعقيد	[الخفيف]	37

رَكِبْـــنَ اللّفظَ القَريبَ فأدركْنَ	البعيد	[الخفيف]	37
أقول للنّفس تأســـاء وتعـــزية	لَمْ تُرِدِ	[البسيط]	70
كلاهما خلف من فقد صاحبـــه	ولدي	[البسيط]	70
إن يحسدوني فإنّي غير لائمهم	قد حُسِدُوا	[البسيط]	25
نُبِّئتُ أنّ أبا قَابُوسَ أَوْعَدَني	الأَسَدِ	[البسيط]	64

(ر)

إلامَ يَرَاكَ المجدُ في زِيِّ شاعِـــــرٍ	المَنابِرِ	[الطّويل]	69 ،70
كَتَمْتَ بِعَيْبِ الشِّعْرِ حِلْماً وَحِكْمَةً	الَمفَاخِرِ	[الطّويل]	69
أَ مَا وَأَبِيكَ الـــخَيْرِ إنّكَ فارِسُ المَقَالِ	الغَوابِرِ	[الطّويل]	69
وَ إنَّكَ أَعْيَيْتَ المَسَامِعِ وَالنُّهَى	الدَّفَاتِرِ	[الطّويل]	69
وكم ليلة قد بتّها مُعْســـرًا وَلِي	مِنَ اليُسْرِ	[الطّويل]	55
أَقُولُ لِقَلْبِي كُلّما اشْتَقْتَ لِلْغِنَى	يَدُ الفَقْرِ	[الطّويل]	55
تبكي لصخرٍ هي العبرَى وقد ولِهت	أستارُ	[البسيط]	78
تبكي خُناس فما تنفكّ ما عمـــرت	مِفتار	[البسيط]	78
تبكي خناس على صخر وحقّ لها	ضرار	[البسيط]	78
أخو رغائب يعطيها ويمنعها	الزُّفَرُ	[البسيط]	63، 67
أتبكي على ليلى وأنت تركتها	أقدر	[الطّويل]	75

(ط)

حَتّى إِذَا جَنَّ الظّلامُ وَ اخْتَلَطْ	الذِّئْبَ قَطْ	[الرّجز]	64

(ع)

لِحافي لحاف الضّيف والبيت بيته	مقنّع	[الطّويل]	7
أحدّثه إنّ الحديث من القرى	يهجع	[الطّويل]	7
أَقولُ لَها وَقَد طارَت شَعاعاً	تُراعِي	[الوافر]	96
فإنَّكِ لو طلبتِ حياةَ يوم	تُطاعي	[الوافر]	96
فصبراً في مجال الموتِ صبراً	بِمُستطاعِ	[الوافر]	96

(ف)

لقد زاد الحياة إلي حبا	الضّعاف	[الوافر]	86
ولولا ذاك قد سومت مهري	كاف	[الوافر]	86

(ل)

قِيَاماً يَنْظُرون إلى سَعيدٍ	هلالاَ	[الوافر]	65
يا خير من يركب المطيّ لا	من بخلا	[المنسرح]	66 ، 77
أفاءت بنو مروان ظلماً دماءنا	عدلُ	[الطّويل]	85 ، 88 ، 100
ودّع هُرَيرة إنّ الرّكب مرتحل	الرّجل	[البسيط]	66
فنحن كماء المزن ما في نصابنا	بخيل	[الطّويل]	3
و نُنْكِرُ إنْ شئنا على النّاس قَولَهمُ	نقول	[الطّويل]	3
و ما أُخْمِدتْ نارٌ لنا دون طارِقٍ	نَزِيلُ	[الطّويل]	3
لا خيل عندك تهديها و لا مال	الحال	[البسيط]	75، 77 ، 98
واجز الأمير الذي نعماه فاجئة	أقوال	[البسيط]	77 ، 97
وشوهاء تعدو بي إلى صارخ الوغى	المرحّلِ	[الطّويل]	73، 76

(م)

فلئن بقيت لأرحلنّ بغزوة	كريمُ	[الكامل]	73، 77
إِذا ما غَدا لَم يُسقِطِ الخَوفُ رُمحَهُ	مُعْصِم	[الطّويل]	76

(هـ)

وبي ظبية أدماء ناعمة الصّبا	لفتاتها	[الطّويل]	74

أعانق غصن البان من لين قدّها	وجناتها	[الطّويل]	74
والشّعر لمح تكفي إشارته	خُطبهْ	[المنسرح]	37

فهرس المصادر والمراجع

1 ــ القرآن الكريم بالرّسم العثماني على رواية الإمام ورش.

2 ــ الآلوسي شهاب الدّين محمود البغدادي . تفسير روح المعاني.دار إحياء التّراث العربي. بيروت. لبنان. دت.

3 ــ الآلوسي محمود شكري البغدادي. بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب. شرح و تصحيح و ضبط محمد بهجة الأثري. دار الكتاب العربي بمصر. ط3. 1342 هـ
4 ــ الآمديّ أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحي ــ الموازنة بين أبي تمّام و البحتريّ. تحقيق محمّد محي الدّين عبد الحميد. مطبعة السّعادة. القاهرة. 1954م.
5 ــ ابن أبي الإصبع. تحرير التّحبير في صناعة الشّعر والنّثر. تحقيق حفني محمّد شرف. ط 1. 1963م. مصر.
6 ــ ابن أبي الحديد ــ الفلك الدّائر على المثل السّائر (بذيل المثل السّائر). دار نهضة مصر للطّبع و النّشر. د ت.
7 ــ ابن جنّي ــ الخصائص. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. دت.
8 ــ ابن الأثير ضياء الدّين ــ المثل السّائر في أدب الكاتب و الشّاعر. دار نهضة مصر للطّبع و النّشر. الفجّالة. القاهرة. دت.
9 ــ ابن خلدون عبد الرّحمن . مقدّمة ابن خلدون. دار القلم. بيروت. لبنان. ط5. 1984م.
10 ــ ابن رشيق أبو عليّ الحسن . العمدة في محاسن الشّعر و آدابه. تحقيق محمّد محي الدّين عبد الحميد. مطبعة السّعادة بمصر. ط3. 1383هـ / 1963م.
11 ــ ابن سينا . الإشارات و التّنبيهات. شرح نصير الدّين الطّوسي ــ تحقيق سليمان دنيا. دار المعارف بمصر. ط 2. 1990م.
12 ــ ابن قتيبة الدّينوري . أدب الكاتب. دار صادر. بيروت. 1387هـ / 1967م.

13 ــ ابن قتيبة الدّينوري . الشّعر و الشّعراء. تحقيف أحمد محمّد شاكر. دار المعارف بمصر. ط2. 1386 هـ / 1967م.
14 ــ ابن المعتزّ . البديع. مؤسّسة الكتاب الثّقافية. بيروت. لبنان. ط 1. 1422هـ / 2001م.
15 ــ ابن فارس . الصّاحبي. شبكة مشكاة الإسلامية .www.al-eman.com

16 ــ ابن قيّم الجوزية .الفوائد. المكتبة الثّقافية. بيروت. 1413هـ / 1993م.
17 ــ ابن منظور . لسان العرب. دار صادر. بيروت. ط 3. 1414هـ / 1994م.
18 ــ ابن هشام . السّيرة النّبوية. تحقيق و ضبط مصطفى السّقا. ابراهيم الأبياري. عبد الحفيظ شلبي. مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي. ط2. 1375هـ / 1955م.
19 ــ أبو تّمام . ديوان الحماسة. شرح العلاّمة التّبريزي. مكتبة النّوري. دمشق.د ت.
20 ــ أبو العدوس. البلاغة والأسلوبية. الأهلية للنّشر. عمّان. الأردن. ط1. 1999م.
21 ــ أحمد الدّمنهوري. حلية اللّب المصون على الجوهر المكنون. بهامش شرح عقود الجمان للحافظ جلال الدّين عبد الرّحمن السّيوطي. دار الفكر للطّباعة و النّشر و التّوزيع. بيروت. لبنان. د ت.
22 ــ أحمد حساني . مباحث في اللّسانيات. ديوان المطبوعات الجامعيّة. الجزائر. 1994م.
23 ــ الأخفش سعيد بن مسعدة . معاني القرآن. دراسة و تحقيق الدّكتور عبد الأمير محمّد أمين الورد. عالم الكتب. بيروت. لبنان. ط1. 1405هـ / 1985م.
24 ــ أسعد عليّ . تهذيب المقدّمة اللّغوية للعلايلي. منشورات دار النّعمان. لبنان. ط1. 1388هـ / 1968م.
25 ــ الأعشى. ديوان الأعشى. دار صادر. بيروت. لبنان. 1966 م.
26 ــ ألبير نصري نادر . التّصوّف الإسلامي. المطبعة الكاثوليكية. بيروت. 1960م.
27 ــ امرؤ القيس . ديوان امرئ القيس. تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر. ط 3. 1969 م.

28 ــ الأندلسي أبو حيّان .تفسير البحر المحيط. دار الفكر. بيروت. لبنان. 1412هـ/1992م
29 ــ الباقلاّني أبو بكر محمّد بن الطّيب . إعجاز القرآن. تحقيق الشيخ عماد الدّين أحمد حيدر. مؤسسة الكتب الثّقافية. بيروت. ط4

30 ــ البابرتي أكمل الدّين. شرح التّلخيص. تحقيق محمّد مصطفى رمضان صوفية. المُنشأة العامّة للنّشر والتّوزيع والإعلان. طرابلس. ليبيا. ط1. 1392هـ / 1983م.
31 ــ البحتري . ديوان البحتري. دار صادر. بيروت. لبنان. 1385 هـ / 1966 م.
32 ــ بن عاشور محمّد الطّاهر. تفسير التّحرير والتّنوير. الدّار التّونسيّة للنّشر. 1984م.
33 ــ التّهانوي محمّد علي بن علي بن محمّد. كشّاف اصطلاحات الفنون ــ دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. ط1. 1418هـ /1988م.
34 ــ الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر . البيان و التّبيين. دار الفكر للجميع. 1968
35 ــ الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر . كتاب الحيوان. تحقيق فوزي عطوي. مكتبة محمّد حسن النّووي. دمشق سوريا. طبعة دار الغد. شارع سوريا. مكتبة الطلاّب و شركة الكتاب اللّبناني. بيروت.
36 ــ الجرجاني عبد القاهر . دلائل الإعجاز في علم المعاني. دار المعرفة. بيروت. لبنان. ط 3 . 1422هـ / 2001م.
37 ــ الجرجاني عبد القاهر. أسرار البلاغة. مؤسّسة الرّسالة ناشرون. ط1. 1425هـ/2004م.
38 ــ حسن عبد القادر. أثر النّحاة في البحث البلاغي. دار نهضة مصر للطّبع و النّشر. الفجّالة. القاهرة. 1399هـ/1975م.
39 ــ الخطّابي. بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن). تحقيق محمّد خلف اللّه و محمّد زغلول سلام. دار المعارف بمصر. ط2. 1391هـ / 1972م.
40 ــ الخنساء . ديوان الخنساء. دار صادر للطّباعة والنّشر. دار بيروت للطّباعة والنّشر. بيروت. لبنان. 1383هـ / 1963م.

41 ــ الرّازي. تفسير مفاتيح الغيب. دار إحياء التّراث العربي. بيروت. لبنان. دت.
42 ــ رمسيس يونان . دراسات في الفنّ. تقديم لويس عوض. دار الكاتب العربيّ للطّباعة و النّشر. مصر 1969م.

43 ــ الرّمّاني . النّكت في إعجاز القرآن. (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن). تحقيق محمّد خلف اللّه و محمّد زغلول سلام. دار المعارف بمصر. ط2. 1391هـ / 1972م.
44 ــ الزّجّاج. أبو إسحق. إعراب القرآن. مكتبة مشكاة الإسلامية .www.al-eman.com
45 ــ الزّركشيّ بدر الدّين. البرهان في علوم القرآن. تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت. لبنان. ط2. 1391 هـ / 1972م.
46 ــ السّبكيّ بهاء الدّين . عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. تحقيق الدّكتور خليل إبراهيم خليل. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1. 1422 هـ / 2001م.
47 ــ السّعران محمود . علم اللّغة. دار المعارف بمصر. 1962م.
48 ــ السّكاكي أبو يعقوب يوسف . مفتاح العلوم. تحقيق نعيم زرزور. دار الفكر العلمية. بيروت. لبنان. ط2. 1407هـ /1987م.
49 ــ سليمان عشراتي . الخطاب القرآنيّ مقاربة توصيفية لجمالية السّرد الإعجازي. ديوان المطبوعات الجامعيّة. الجزائر. 1998م.
50 ــ سيبويه . الكتاب. مكتبة مشكاة الإسلامية .www.al-eman.com
51 ــ سيّد قطب ــ في ظلال القرآن. دار الشّروق. ط14. 1308 هـ/1987م.
52 ــ السّيوطي جلال الدّين عبد الرّحمن . الإتقان في علوم القرآن. المكتبة الثّقافية. بيروت. لبنان. 1973م.
53 ــ السّيوطي جلال الدّين عبد الرّحمن . معترك الأقران في إعجاز الفرآن. تحقيق محمّد عبد الرّحيم. دار الفكر للطّباعة و النشر و التّوزيع. بيروت. لبنان. ط1. 1423هـ/ 2003م.

54 ــ السّيوطي جلال الدّين عبد الرّحمن . شرح عقود الجمان في علم المعاني و البيان. دار الفكر للطّباعة و النشر و التّوزيع. بيروت. لبنان. دت.

55 ــ الشّافعيّ محمّد بن إدريس. الرّسالة. تحقيق محمّد سيّد الكيلاني. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر. ط1. 1388هـ /1969م.

56 ــ شاهين عبد الصّبور. تاريخ القرآن. المعهد العالي للدّراسات الإسلامية. 1423هـ/2003م.

57 ــ الشّنقيطي محمد الأمين . دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب.
www .iu.edu.sa/magazine/adad 19

58 ــ شوقي ضيف . البلاغة تطوّر وتاريخ. دار المعارق بمصر. ط2. 1965م

59 ــ طبانة بدوي . البيان العربيّ. مكتبة الأنجلو المصرية. ط3. 1381هـ / 1962م.

60 ــ طبانة بدوي . علم البيان. مكتبة الأنجلو المصرية. ط2. 1386هـ / 1967م.

61 ــ الطّبري ابن جرير ــ جامع البيان في تفسير القرآن. الأميرية. 1323هـ.

62 ــ عبد البديع لطفي . التّركيب اللّغوي للأدب. بحث في فلسفة اللّغة والاستيطيقا. مكتبة النّهضة المصرية. ط 1. 1970 م.

63 ــ العسكريّ أبو هلال . كتاب الصّناعتين. تحقيق عليّ محمّد البجاوي و محمّد أبو الفضل إبراهيم. عيسى البابي الحلبي و شركاه. ط2. 1365هـ / 1971م.

64 ــ العكبري أبو البفاء. التّبيان في إعراب القرآن. شبكة مشكاة الإسلامية.
www.al-eman.com.

65 ــ العيدروس . النّور السّافر عن أخبار القرن العاشر. (ضمن قرص مضغوط: الموسوعة الشّعرية. إشراف د. محمّد أحمد السويدي. المجمّع الثّقافي السّوري. إصدار 2003. www.cultural.org.ae)

66 ــ الغزالي محمّد . فقه السّيرة. المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة. الجزائر. ط 2. 1988م.

67 ــ الغزالي أبو حامد . إحياء علوم الدّين. دار الفكر. 1995

68 ــ قدامة بن جعفر. نقد الشّعر. تحقيق كمال مصطفى. مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنّى ببغداد. ط2. 1963م.

69 ــ القرطاجنّي حازم. منهاج البلغاء. تحقيق محمّد الحبيب خوجة. دار الكتب الشّرقيّة.تونس. 1966م.

70 ــ القرطبيّ محمّد بن أحمد الأنصاري . الجامع لأحكام القرآن. دار الكتب المصريّة. 1373هـ / 1954م.

71 ــ القزوينيّ جلال الدّين . الإيضاح في علوم البلاغة. تحقيق عبد المنعم خفاجة. بيروت. لبنان. ط3. 1419 هـ / 1998م.

72 ــ القزويني جلال الدّين . تلخيص المفتاح. (ضمن عروس الأفراح للسّبكي). تحقيق الدّكتور خليل إبراهيم خليل. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1. 1422 هـ / 2001م.

73 ــ الكُتّبيّ محمّد بن شاكر بن أحمد . فوات الوفيات. تحقيق محمّد محي الدين عبد الحميد. مطبعة السّعادة بمصر 1951م.

74 ــ مازن المبارك ــ الموجز في تاريخ البلاغة. دار الفكر. دمشق.1401هـ /1981م.

75 ــ المبرّد أبو العبّاس. الكامل في اللّغة والأدب. دار نهضة مصر للطّبع والنّشر. دت.

76 ــ المتنبّي . ديوان المتنبّي. شرح الإمام الواحديّ. طبعة مدينة برلين المحروسة. 1891م.

77 ــ مطلوب أحمد. معجم المصطلحات البلاغية و تطوّرها. لبنان ناشرون. ط 2. 2000 م.

78 ــ الميداني . مجمع الأمثال. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت. 1962م.

79 ــ النّويري. نهاية الأرب في فنون الأدب. دار الكتب المصرية. د ت.

80 ــ ياقوت الحمويّ . معجم الأدباء. شبكة مشكاة الإسلامية .www.al-eman.com

81 ــ اليمني يحي بن حمزة. الطّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. تحقيق الدّكتور عبد الحميد هنداوي. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت. ط1. 1423 هـ/ 2002م.

فهرس المحتويات

الموضوع الصّفحة

إهداء
مقدّمة
مدخل 2

الفصل الأوّل
البلاغة بين النّظريّة والتّطبيق

المبحث الأوّل: البلاغة وعلم البلاغة. 21
المبحث الثّاني: البلاغة ممارسة قولية لا قواعد تعليمية. 34
ــ تحقيق معنى البلاغة 34
ــ البلاغة ومعادلة اللّفظ والمعنى 35
المبحث الثّالث: إشكالية التّفريق بين ميادين علم البلاغة. 43
ــ ميادين علم البلاغة: 44
أوّلا :علم المعاني 44
ثانيا: علم البيان 45
ثالثا: علم البديع 46
ــ إشكالات التّصنيف 47

الفصل الثّاني
حقيقة التّجريد

المبحث الأوّل: مفهوم التّجريد 54
1 ــ المعنى اللّغوي للتّجريد 54
2 ــ استعمالاته 55

المبحث الثّاني: شُبه التّجريد 58
1 ــ التّجريد والالتفات 58

2 ــ التّجريد والتّشبيه 60
3 ــ التّجريد والاستعارة 63
المبحث الثّالث: مذاهب العلماء في التّجريد 64
ــ أقسام التّجريد 76
ــ التّجريد بين المضمون المنطقي والمضمون النّفسي 78

الفصل الثّالث
أشكال التّجريد ودلالاته في القرآن الكريم

المبحث الأوّل: أشكال التّجريد في القرآن 83
أوّلا: التّجريد بالأداة 83
ثانيا: التّجريد بغير أداة 89
المبحث الثّاني: دلالة التّجريد في القرآن الكريم 95
خاتمة البحث 101

فهارس البحث

ــ فهرس الآيات القرآنية 106
ــ فهرس الأحاديث النّبويّة 113
ــ فهرس الشّواهد الشّعرية 114
ــ فهرس المصادر والمراجع 118
ــ فهرس المحتويات 124